# الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

| | |
|---|---|
| ٣٠ | في مصر والسودان |
| ٥٠ | في الممالك الأخرى |
| ١ | ثمن العدد الواحد |

الإدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

العدد الرابع — ٢ محرم سنة ١٣٥٦ — ١٥ مارس سنة ١٩٣٧ — السنة الأولى


## في الربيع

للقصصي الفرنسي جي دي موباسان

بقلم احمد حسن الزيات

حينما تقبل أوائل الأيام الجميلة فتستيقظ الأرض، وتخضوضر الحقول، وينبعث النسيم الفاتر العاطر فينفح الجسوم ويملأ الصدور حتى كأنما يخلص إلى الأفئدة، تخالج أنفسنا رغبات غير واضحة لسعادة غير محدودة، فنتوق إلى الجريان، ونصبو إلى الجولان، ونسمو إلى المغامرة، ونهفو إلى ارتشاف الربيع

وكان الشتاء في عامنا المنصرم قارساً شديد الزمهرير، فكانت الحاجة إلى الانطلاق والانبساط في شهر مايو أشبه بالنشوة التي تغمر وبالحميا التي تفيض

ففي ذات صباح من أصباح الربيع تيقظت فإذا بي ألمح من النافذة بساط السماء الأزرق ممدوداً على سطوح المنازل المجاورة، وقد اشتعلت الشمس في سرته وحواشيه؛ وكانت العصافير الناشبة في الشبابيك تغرد وتسرف في التغريد، والخادمات في جميع طبقات البيت يغنين ويبالغن في الترديد، ونجية الحبور والمرح تصعد من الشارع إليّ، فخرجت والفكر جذلان مشرق أهيم في المدينة

لا أعرف لى وجهاً ولا غاية ؛ وكانت بسمات السرور تتألق فى وجوه المارين ، ونسمات السعادة تهتز فى أجواء الربيع . وكأنما هبت على المدينة نفحة سارية من الحب ، فالفتيات اللاتى عشين فى زينة الصباح وفى عيونهن حنان مكتوم ، وفى مشيتهن رشاقة خودة ، كن يبعثن فى قلبى اضطرابا ومشغلة

بلغت ضفة ( السين ) ولا أعرف كيف ولا أدرى لماذا ؛ فلما رأيت البواخر تجرى نحو ( سيربنس ) نازعتنى نفسى إلى أن أجوس خلال العباب فركبت إحداها

وكان ظهر الباخرة (موش) مغطى بالمسافرين فما تجد موضعاً لقدم ، لأن أشعة الربيع الأولى لا تدع إنساناً قابعاً فى مسكنه ؛ وكان كل راكب عليها قد استخفه النشاط فهو يذهب ويجيء ويضطرم فى نفسه ويتحدث إلى جاره . وكان جوارى لفتاة صغيرة لا شك أنها عاملة . هى باريسية الأناقة بارعة الظرف ، لها رأس لطيف التكوين أشقر اللون ، قد استوى شعره حلقاً على الصدغين ، ثم تجعد وتجمد فصار كأنه ضوء متموج ؛ ثم انحدر إلى الأذن ، وسال على العنق ، ثم انتهى فى أسفل الجيد إلى زغب دقيق رقيق أصهب تكاد لا تراه ، ولكنك تحس فى نفسك رغبة ملحة فى أن ترسل عليه غمراً من القبل

التفتت الفتاة إلى إجابة لألحاح نظرى ؛ ثم كسرت طرفها فجأة ، ولاح على وجهها قطوب خفيف أشبه بالابتسام البادئ ، أخفى زاوية فمها بعض الخفاء ، ولكنه أظهر ثانية ذلك الزغب الناعم الشاحب الذى ذهبته الشمس قليلاً

كان النهر الهادئ ينفرج ما بين ضفتيه ، والجو الضاحك تنتشر فيه سكينة الدفء ، والفضاء المشرق تزخر به غمغمة الحياة .

فرفعت جارتى بصرها ثانية إلى ؛ وفى هذه المرة كما بدا لى من مراقبتها كانت بسمتها صريحة قطعة . وكانت فى هذا الوضع رائعة فاتنة حتى كشفت فى نظرها المختلس الهارب ألف شىء كانت مجهولة : كشفت فيه أغواراً لم تدرك . فيها كل ما نرغب من الحنان ، وكل ما نطلب من الشعر ، وكل ما نبغى من السعادة ؛ فتملكتنى رغبة جنونية فى أن أفتح ذراعى فأحملها إلى مكان آخر ثم أهمس فى أذنها بشعر الهوى وموسيقى الغزل

ملت عليها وهممت أن أفتح فى لأتكلم وإذا بيد تلمس كتفى ، فالتفت مبهوتاً فرأيت رجلاً عادى الهيئة متوسط العمر ينظر إلى فى حزن ويقول فى جد : « أريد أن أكلك فى أمر » فبدت على وجهى جهومة لم تخف عليه لأنه قال : « إن الأمر جد »

فنهضت من مجلسى وتبعته حتى انتبذ بى مكاناً فى الطرف الآخر من السفينة ثم أنشأ يقول : « حينما يدنو الشتاء يا سيدى بقره ومطره والثلجه يقول لك طبيبك كل يوم : « لا تهمل تدفئة قدميك ، واحذر البرد والزكام وذات الرئة وذات الجنب » فتحسب ألف حساب وتتخذ ألف حيطة : تكتسى القميص الصوف ، وترتدى المعطف الثقيل ، وتنتعل الحذاء الغليظ ، ثم لا يمنعك ذلك من أن تقضى شهرين فى السرير . ولكن حينما يعود الربيع بنضرة عوده ، وبهجة وروده ، ونسيمه الفاتر الذى يرخى المفاصل ، ونفسه العاطر الذى يبابل الصدر ، لا تجد من يقول لك : « حذار من الحب يا سيدى ! إنه يترقبك فى كل مكان ، ويترصدك فى كل كمين . كل حيله منصوبة ، وكل أسلحته مشحوذة ، وكل غدراته مهيأة ! حذار من الحب ! حذار من الحب ! إنه أشد خطراً من الزكام وذات الرئة وذات الجنب . إنه لا يشفق ولا يرحم ، ومن طبعه أن يحمل ضحاياه على أن يأتوا من السخف والحمق ما لا علاج له ولا حيلة فيه » أجل يا سيدى ! إن من رأيى أن تكتب الحكومة فى كل عام بالخط الغليظ على الجدران هذا الإعلان : عاد الربيع . فاحذروا أيها الفرنسيون من الحب ، كما يكتبون على أبواب المنازل المدهونة : « احذروا من الدهان ! » وما دامت الحكومة لم تفعل فإنى أقوم مقامها فى ذلك وأقول لك : « احذر من الحب ، فإنه يهم أن ينشب فيك مخالبه ؛ ومن واجبى أن أنبهك إليه كما ينبه الروسيون المار إذا قرص أنفه البرد فيبس »

لبثت دهشاً مبهوتاً أمام هذا الرجل الغريب ، ثم اتخذت هيئة الوقار ، وتكلفت لهجة الجد ، وقلت له : أراك تدخل ياسيدى فيما لا يعنيك » فتحرك حركة عنيفة ثم قال : « أوه ! سيدى ! سيدى : إذا رأيت إنساناً يشرف على الغرق فهل يجوز أن أدعه يغرق ؟ إستمع قصتى فستعرف بعدها لماذا جرؤت على أن أكلك على هذا الوجه :

« كان ذلك فى مثل هذا الفصل من العام الماضى ، ويجب أن تعلم يا سيدى أولاً أنى موظف بوزارة البحرية ، ورؤساؤنا العسكريون يتخذون من شاراتهم وشرائطهم حجة على أن يعاملونا معاملة مهينة : آه لو كان كل الرؤساء ملكيين : ما علينا ! فلمحت من شباك مكتبى طرفاً أزرق صغيراً من حاشية الأفق يطير فيه السنونو ، فقام بنفسى أن أرقص فى وسط دفاترى وأضابيرى . واشتدت رغبتى فى الحرية حتى ذهبت على الكره منى إلى قردى أو رئيسى ، وهو رجل ضئيل الجسم نزق الطبع لا يتمالك عن وجهه الغضب لحظة ، فقلت له : إنى مريض ، فصاح فى وجهى وقال : أنا لا أصدق ذلك ، إذهب عنى . أتظن أن العمل عشى على أمثالك من الموظفين ؟ » لم أذهب إلى المكتب كما أراد ، وإنما ذهبت إلى السين كما أردت ؛ وكان جو ذلك اليوم كجو هذا اليوم ، فركبت الباخرة ( موش ) لأجول جولة فى ضاحية ( سان كلو ) . آه يا سيدى ما كان أحق رئيسى أن يحول بينى وبين الخروج ! لقد خيل إلى أن مشاعرى وجسمى مددتها حرارة الشمس ، فأنا أحب كل شىء : أحب الباخرة والنهر والشجر والمنازل والجيران وكل ما فى الطبيعة من صامت وناطق . لقد كنت أتوق إلى أن أعانق أى

شىء كائناً ما كان . ذلك هو الحب الذى كان يدبر حيله وينصب شراكه

وفى ( التروكادرو ) على حين بغتة صعدت إلى الباخرة فتاة فى يدها صرة وجلست أمامى . لقد كانت فتانة المحاسن يا سيدى ، ومن العجيب أن النساء يظهرن فى أيام الربيع أحسن وأجمل ، إذ تبدو عليهن الجهارة والفتنة وشىء خاص لا أدريه كأنه شرب النبيذ بعد أكل الجبن

نظرت إليها ونظرت إلى ؛ وكان ذلك حيناً بعد حين كما فعلت صاحبتك . وأخيراً خيل إلى من طول ما أدمنا النظر أننا تعارفنا ، وأن ذلك التعارف يجيز لى أن أناقلها الحديث ، فكلمتها ، فأجابت على كلامى ؛ وكانت لطيفة الروح ، طلية الحديث ، فأطربتنى يا سيدى وأسكرتنى

وفى ( سان كلو ) نزلتْ ونزلتُ ، وكان الذى معها عملاً مطلوباً لبعض الناس فذهبت تسلمه . فلما رجعت كانت الباخرة قد رجعت . فأخذت أمشى بجانبها وعذوبة الهواء تنتزع منى ومنها زفرات تتصعد ، فقلت لها : إن الجو فى الغابات يكون أروع وأمتع . فقالت . أى نعم ، فقلت لهـا : أتحبين أن نجول هناك جولة ؟ فنقدتنى خلسة بنظرها السريع كأنما كانت تقدر فى رأيها كم أساوى ، ثم نزلت على اقتراحى بعد تردد قليل

ها نحن ذان نسير جنباً إلى جنب وسط الأدواح والشجر ، ولا نزال تحت الأوراق بعض الجليد ، والعشب الطويل الكثيف ذو الخضرة اللامعة يغرق فى ضوء الشمس ، ويشرق علايين من الحشرات تتحاب وتتماشق أيضاً . وكانت الطيور تسجع فى كل مكان ؛ فأخذت صاحبتى تركض وتثب نشوى من صفاء الهواء ونضارة الربيع ؛ وجعلت أنا كذلك أتبعها فأعدو كما تعدو ، وأطفر كما تطفر . والمرء يا سيدى يعود بهيماً خالصاً فى بعض أحيانه .

ثم غنت وهى ثائرة الشاعر مستطارة اللب ألف أغنية : منها الرفيع ومنها الوضيع ؛ وفى هذه اللحظة كانت هذه الأغانى وتلك فى مستوى سواء فى براعة الشعر وسمو اللحن . فانفعلت أشد الانفعال وكدت أبكى من فرط التأثر

أدركها التعب بعد قليل فقعدت على منحدر معشوشب ، وقعدت أنا بجانبها وتناولت يديها الصغيرتين ، فحرك شفقتى عليهـا ما وجدت على أناملها من آثار وخز الابرة ، فقلت : هذه هى العلامات المقدسة للعمل . فقالت : آه يا سيدى ؛ أتدرى ماذا تدل عليه العلامات المقدسة للعمل ؟ إنها تدل على المصنع الصاخب بلغو الزميلات ، والسمع الملوث بأخس الهمسات ، والذهن المدنس بأقذر الحكايات ، والعفاف المثلوم ، والعرض المكلوم ، وفضول الأحاديث السخيفة ، وغثاثة الأفكار الضعيفة ، وشقاوة الحياة اليوميـة ، وعلى كل ما تتخلق به المرأة العامية العاملة من ضيق الفكر ، وهجر الحديث ، ووقاحة التبذل

ثم حدق كل منا فى عين صاحبه طويلاً . آه : ما أقوى عين المرأة : وأشد ما تفتن وتغزو وتملك وتسيطر : ما أعمق هـذه العين وأملأها بالوعود والأحلام والأسرار ! لقد قالوا : إن العين مرآة القلب . وما أبعد هذا القول عن الصدق يا سيدى ! فان المرء لو اطلع من العين على دخيلة النفس لأبصر رشده وأقلع عن هواه ؛ فلا تصدق !

ثم ثارت وجن جنونى ، فهممت أن أضمها الى صدرى فقالت : دع عنك هذا واتسقط الخالب ! حينئذ جثوت على قدميها ، وفتحت قلبى بين يديها ، ثم أخذت أريق على ركبتيها كل ما كان يكظمنى من الحنان ويكربنى من الحب . فدهشت لاضطرابى

وانقلابى ونظرت إلى عن عُرض وكأنما تقول فى نفسها : « آه ! هكذا ينبغى أن يكون العبث بك والهيمنة عليك يا صاحبى ، وستَرى ! » والرجال فى الحب ياسيدى صرحاء سذج ، والنساء فيه تاجرات حواذق

لقد كنت وقتئذ أستطيع الاستيلاء عليها مافى ذلك شك . ولقد أدركت هذا الخطأ بعد . ولكننى ما كنت أريد الجسد ولا أنشد اللذة . إنما كنت ابغى حنان المرأة الخاصة ، وجمال المثل الأعلى

فلما فرغت من بث نجواى وإعلان هواى نهضنا فعدنا إلى سان كلو ولم أفارقها إلا فى باريس . وكانت لدى عودتنا كاسفة البال ساهمة الوجه فسألتها عن سبب ذلك فقالت : هذا نهار من النُهُر التى لا تشرق فى حياة المرء إلا قليلا » فخفق قلبى حتى كاد ينشق صدرى من شدة خفوقه

لقيتها فى الأحد التالى ، وفى الأحد الذى بعده ، وفى سائر أيام الآحاد . فذهبت بها إلى بوجيفال ، وسان جرمان ، وميزون لافاييت ، وبواسى . وغشينا كل مكان من أمكنة العاصمة يرتاده الحب ويتردد فيه الغزل . وكانت الماكرة لا تألو جهداً فى إذكاء هواى وإضرام شوقى ، حتى فقدت صوابى فلم تمض ثلاثة أشهر حتى تزوجتها

وهل يفعل غير ذلك ياسيدى موظف يعيش وحده من غير أسرة ولا مرشد ؟ لقد حدثته نفسه أن الحياة مع الزوجة ستكون سعيدة رغيدة . ولكن اسمع ماذا حدث :

« وجدتها لاتفتر طول النهار عن السباب والشتم . ثم هى لاتفهم قولا ولاتعرف علماً . ثرثرة فياضة تصم الآذان ، وغناء متصل يصدع الرأس . تشاجر الفحام واللحام ، وتقص على البوابة دخائل البيت ، وتفشى إلى خادمة الجيران أسرار الفراش ، وتفدح زوجها بالمطالب الباهظة ، وتدفع فى صدره بالحكايات السخيفة ، والاعتقادات الباطلة ، والآراء الفائلة ، والأحكام المسرفة ، حتى أكاد أبكى ياسيدى من القنوط والخيبة كلما تحدثت إليها »

ثم غلب الرجل الانفعال والوجد فصمت ؛ وأدركنى على هذا المسكين الساذج رقة ، فأردت أن أجيب عن كلامه بشىء ، ولكن الباخرة كانت قد وقفت على مرفأ فى سان كلو

نهضت الفتاة التى غزت فؤادى ومرت بجانبى وهى خارجة ، فألقت على نظرة عن عرض ، وبسمة عن دلال ، ثم نزلت ؛ فهممت أن أثب وراءها ، ولكن جارى أمسك بكمى ، فحاولت أن أتخلص منه بحركة عنيفة فتشبث بطرف سترتى وجذبنى إلى الوراء وهو يقول بصوت لفت إلينا الراكبين : لن تذهب ! لن تذهب !

فتضاحك من حولنا الناس ولبثت فى مكانى جامداً محنق الصدر ، لا أجرؤ على شىء أمام الهزء والفضيحة ، حتى عادت الباخرة ؛ وبقيت الفتاة على الرصيف تشيعنى بالنظر الحزين الخائب وصاحبى إلى جانبى يفرك يديه ويهمس فى أذنى قائلا : « تالله ، لقد أسديت إليك يداً لا ينقضى شكرها أبد الدهر ! » الزيات

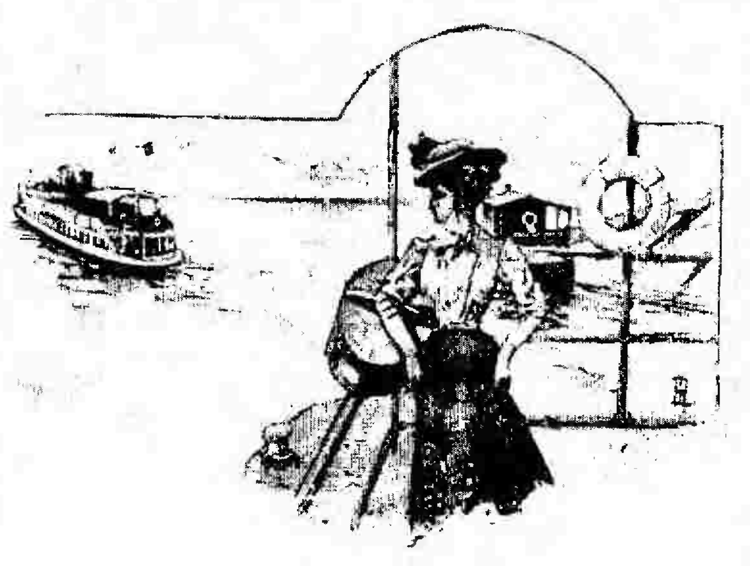

# العقد الضائع

## أقصوصة مصرية

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

رجعنا من السويس على عجل — أختي وزوجها وأنا — وكنا نقضي فيها أياماً فتلقينا نبأ من خادمتنا القديمة الأمينة « فرحة » بأن ابن عمة قريبتنا قادم وسينزل علينا ضيفاً إجابة لدعوة قديمة نسيناها، فأسرعنا فأقبلنا على الحقائب نحشوها حشواً بلا عناية بترتيب لنكون في البيت قبل أن يصل. ومضى ابن عمي — زوج أختي — فجاء بالسيارة. وكنت قد هصت ساقي قبل ذلك بيوم فلم يبق مفر من أن يسوق هو السيارة وإن كان لا يحسن ذلك ولم يتلق فيه إلا بضعة دروس قليلة. وكان الأحجى أن نستأجر رجلا لهذا ولكننا كنا نحرص على ألا يكون معنا غريب يأخذ بوجوده الطريق على حريتنا في الكلام والضحك واللهو. وقد عزيت نفسي بأن طريق السويس سهل والحركة فيه قليلة فلا داعي للخوف. وفي وسعه أن يخطىء كما يشاء فإن يضيره أو يضيرنا ذلك وإن كان يخشى أن يمطلنا ويضيع وقتنا.

وجلست الى جانبه وجلست أختي على المقعد الخلفي وطمأنتها بأني وأنا معه سأكون السائق الحقيق وأنه لن يفعل إلا ما آمره. ولكننا لسوء الحظ ألفينا الطريق غاصاً بالسيارات فتعجبنا أولاً ثم تذكرنا أن هذا يوم الأحد فلا عجب إذا كان الكثيرون قد أقبلوا على السويس ليقضوا اليوم فيه.

وقطعنا بضع عشرات من الكيلومترات في سلام وفي ضحك أيضاً، ثم بلغنا أول مرتقى في طريقنا فأشرت على ابن عمي بأن يضع ناقل السرعة في المحل الثاني ففعل فوقفت السيارة في منتصف الانحدار. وكنا لا نزال مكاننا حين وقف المحرك للمرة العاشرة. فاقترحت عليه أن يكف عن العمل وأن يضطجع ويشعل سيجارة. ولكنه هز رأسه وقال: « هل أرجع بها القهقرى ثم أبدأ من جديد ؟ »

فقلت له: « كلا ... إني أفضل لسخافتي أن أواجه الموت ».

وقالت أختي: « هل نستطيع أن ندفعها بأيدينا حتى نبلغ ذروة هذا المرتفع ... ».

قلت: « كلا ... إن زنتها لا تقل عن طنين »

وقال ابن عمي: « إن أسألك عن السبب في وقوفها كلما حاولت أن أحملها على السير فاني أعرف جوابك، ولكني أؤكد لك أني أضع ناقل السرعة في مكانه بأقصى ما يسع إنساناً من الترفق والبطء.... وإذا كنت تريد أن تعرف رأيي فهو أن السيارة قد أصابها تلف ».

قلت: « سيصيبها التلف على التحقيق إذا ظللت تحاول أن تدير المحرك ثم توقفه ... فستنفد

الكهرباء وتحتاج كلما أردت إدارة المحرك أن تنزل وتدير المحرك بالمنفيللا ... وقد ينفعك هذا فيغريك بالتفكير قليلاً » .

فصاح بي : « تظن أني لم أفكر ... أتتوهم أني لا أفكر الآن ... إن رأسي يكاد ينفجر من فرط التفكير ... » .

فضحكت أختي فصاح بها : « نعم اضحكي ... أنظري إلى الجانب المضحك ... ولم لا ... قد يطير عقلي ، ولكن هل يجوز أن عنعنك هذا من الضحك ؟ »

وداس برجله الزرزيد أن يدير المحرك ... ووقفت السيارة مرات أخرى لا أذكر عددها ، فاضطجع وأغمض عينيه وراح يقول : « لا فائدة ... قضى الأمر ... وأنا واثق أنه كتب علينا أن نبقى هنا إلى الأبد ... ومن يدرى ... ربما كان في الطريق مارد في يده سيف مسلول ... والسيارة تراه وإن كنا نحن لا نبصره ... من العبث أن يقاوم المرء القضاء والقدر ... كلا ... لا تتكلموا فاني أوثر أن أقضى نحبى في سلام وبغير ضجة ... »

وفي هذه اللحظة وقفت إلى جانبنا سيارة ونزل منها رجل لم نكد نبصره حتى أيقنا أنه انجليزى ، وحقق هو ظننا فقال بلغته : « هل أستطيع أن أساعدكم » .

فشرحت له الأمر وعرفته خطبنا فابتسم وهم بكلام ، ولكن ابن عمي قال له : « امض عنا ... اذهب ... وحدك ... إن أمامنا مارد وقد حذر السيارة من المضى ، ففهمت عنه ... كان صريحاً جداً فيما قاله لها ... إذهب وأرجو لك السلامة »

فابتسم الرجل ودعاه الى النزول واتخذ مكانه وصعد بنا الى رأس التل ، ولم يكتف بذلك بل ظل معنا — على مسافة منا ... وراءنا — حتى فرغنا من المرتفعات وصار الطريق بعد ذلك سهلاً منبسطا فشكرناه ؛ ولكن أى شكر يمكن أن يفي بحسن صنيعه ومروءته .

* * *

وجاء الصيف ، وكان مساء ، ثم كان صباح .

ولم يكن النهار قد ارتفع ولا كانت الشمس قد علت لما دخلت علي « فرحة » توقظني قبل موعدى المألوف بساعتين وتخبرني أن أختي تصبح علي وتدعوني إليها في غرفتها . وقد عجبت وحق لى أن أعجب فما أعرف موجباً لازعاجى فى مثل هذه الساعة المبكرة — السابعة من فضلك — ومع أختى زوجها فما حاجتها الى ... وقد حاولت أن أهمل هذه الدعوة ولكن « فرحة » أبت أن تعفى عنى وتدعني أستأنف النوم فتمطيت وفركت عيني وتثاءبت وقلت لها : « ماذا هناك يا فرحة ؟ ... »

فقالت بلهجتها الهادئة المطمئنة وصوتها المتزن النبرات الذى لا أذكر أنه ارتفع عن هذه الطبقة مرة واحدة فى عشرين عاماً قضتها معنا منذ كانت طفلة :

« أظن أن الأمر يستدعى وجودك » .

وفرحة عاقلة ذكية وحريصة دقيقة العبارة ، وقد رباها أبى مع أختى وعنى بتعليمها أيضاً وجعل لها حصة فى الوقف الذى وقفه قبيل وفاته ، وكانت هذه مفاجأة سارة لنا فقد أحببنا فرحة حب الأخت وكانت هى — وما زالت — ربة البيت . ولسنا نعاملها معاملة الخدم وإنما نعدها واحدة منا : لها علينا مثل الذى لنا عليها . وحسبك منها أنها ما أخذت فى حياتها معنا أجراً على خدمة ، وأنها بعد وفاة أبينا لم تحاسبنا قط على ريع حصتها وإن كنا نودعه البنك باسمها ، فاذا أرادت ثوباً أو خاتماً أو غير ذلك طلبت ذلك منا كما يمكن أن تطلبه أختى منى أو من زوجها . فاذا كانت تقول الآن إن

الأمر يستدعى وجودى فقد صار القيام لابد منه .

ودخلت على أختى وورائى فرحة ، فألفيتها مستلقية على السرير فى منامة قرمزية مزركشة ، ومعتمدة بكوعها على وسادة وثيرة مربعة محشوة بريش النعام ، وخدها على راحتها ، ويسراها على فخذها ، وبين أصبعيها سيجارة ، وكان منظرها فاتناً فانها جميلة ممشوقة ؛ وكانت هذه الرقدة تبرز خطوط جسمها الرشيق وبراعة الانحناءات فيه . وكان زوجها قاعداً على حشية فوق السجادة فنظرت منها إليه وقلت : « لا عجب أن تدللها ... لست بانسان إذا لم تفعل ... »

فابتسمت مسرورة ، وأدنتنى منها وقبلتنى . وقالت : « اجلس هنا ... الى جانبى على السرير ... وأنت يا فرحة ... قصى عليهم الحكاية .. » .

فأراحت فرحة أمامها على شباك السرير ، وأشارت بيدها الأخرى الى منضدة صغيرة قريبة وقالت : « قبل أن أترك الغرفة وضعت بيدى عقدها (وأشارت الى أختى) على هذه المنضدة ، وفى الصباح دخلت عليها فلم أجده . وسألتها عنه فقالت إنه فى مكانه ، فذهبت الى البك ( تعنى زوجها فان فرحة مؤدبة) وسألته فجعل يضحك ويتحسس عنقه ويقول إنه ليس هنا .. هذه هى الحكاية »

فقلت متمما لها كلامها : « فجئتم بشرلوك هولز ليحل اللغز ويهتدى إلى المسروق ويضع يده على اللص .. أشكر لكم هذه الثقة العظيمة »

فقالت أختى وهى تضحك : « العفو .. الواقع أن كل ما أذكره هو أنى قمت بالليل وغبت عن الغرفة دقائق وصرت فى عودتى بغرفة هذا الزوج الصالح ، ولكن شخيره كان عالياً فهربت »

فنهض ابن عمى محتجاً وقال وهو يتمشى : « شخيرى .. هل تريدين أن تقولى إنك أفردت لى غرفة من أجل شخيرى .. شخيرى .. ليتك ترين نفسك فى المرآة وأنت نائمة .. إذن لرأيت كيف ترمين اللحاف وتضربين برجلك هنا وبيدك هناك .. كالأطفال بلا أدنى فرق .. لقد تزوجت طفلة حين تزوجتك ... تقول شخيرى .. مثل هذا الطعن القبيح على سيدها وتاج رأسها هل يليق يا فرحة ؟ »

فابتسمت فرحة ولم تقل شيئاً وماذا عساها تقول وشخيره يزعج الجيران حتى لقد جلا السكان عن هذا الحى وخربت بيوت أصحاب العمائر فيه

وقرت نجمة الضحك أخيراً — ولكل شىء آخر — فقلت : « ماذا كان شرلوك هولمز خليقاً أن يصنع فى مثل هذه الحالة .. »

فصاح بى ابن عمى : « دع الفلسفة من فضلك .. الأمر واضح .. البيت موصد من كل ناحية والنوافذ كلها مسدودة فالذى أخذ العقد لم يجئ من الخارج وإنما هو ولا شك واحد ممن فى البيت .. »

فضحكنا جميعاً — ما عدا فرحة فأنها مؤدبة — « برافو .. برافو .. »

فلم يعبأ بنا ومضى يقول : « الجديد علينا هو ابن العمدة فهو السارق »

فلم نطق هذا وصحنا به جميعاً — حتى فرحة وإن كانت مؤدبة —

فلم ينهزم وقال وهو يعود إلى الجلوس على الحشية : « لا بأس .. ولا داعى للصياح .. المسألة بسيطة .. إذا لم يكن هو اللص فمن عسى أن يكون غيره ...؟ »

فقلت : « أنت مثلاً .. لم لا .. »

فقهقه ؛ فقلت : « ألا يمكن أن تكون قد أخذته لتضعه فى مكان أمين ثم نسيته كعادتك ؟ . إنك هكذا وأنت تعرف ما يكلفنا نسيانك .. قم انظر أين وضعت العقد .. واذكر الاسفنجة ..

قبل أن تعترض وتحتج . . قم من فضلك »

وقالت أختي وهي تعتدل في مجلسها : « ياسليم . . إني لم أخطىء حين أزعجتك . . كلا . . وأنا الآن واثقة أن ابن العم قد نسي أين وضعه . . »

فصاح بها محتجاً : « ولكني ياستي لم أدخل غرفتك . . ودعتك — أعني قبلتك ولا مؤاخذه يامي سليم فان هذه عادة الأزواج — ثم لم أعد . . فكيف يمكن أن أكون قد أخذته ؟ »

فقالت وهي تقف : « تذكر ... حاول أن تتذكر ... »

وزدت أنا على قولها : « جرب مرة واحدة أن تكلف هذا الرأس عملاً ... لا تخف أن تتعب ... »

فمضى عنا إلى الباب وهو يقول : « إني ذاهب إلى الحمام ... »

* * *

وهنا ينبغي أن أقول إن العقد الذي غاب مما ورثناه عن أمي وهو من اللؤلؤ النفيس ، وكانت حباته نحو مائتين وأكثرها من الكبار في حجم الفولة ، وقد رأينا أن نجعل منه عقدين : واحداً صغيراً أعطيناه لفرحة ، وبقي الآخر لأختي ، فقد كانت إذا لبسته تلفه صفوفاً على نحرها الجميل فآثرت التخفيف . على أن الأمر لا محل فيه للتخمين فقد قالت فرحة إنها وضعته على المنضدة وفرحة صادقة ، ثم إن ذاكرتها لا تخونها أو تعابثها كما تعابث ابن عمي — أحمد — ذاكرته . ولم يكن أسخف من قوله — وإن كان يمزح على عادته — إن ابن العمة — حسن — هو الوحيد الذي تتجه إليه التهمة فان حسناً هذا من سراة الناس وهو فوق ذلك من أقرباء أحمد الأدنين ، وقد ذكرت ذلك لأريك إلى أي حد يذهب أحمد في مزاحه

ولا أحتاج أن أقول إننا استقبلنا يومنا مكتئبين مهمومين محزونين ؛ فأن للعقد قيمته الذاتية والمعنوية ، وقد كنا نتكلف المرح ونبدي صفحة البشر ونتلقى الأمر بما يشبه الاستخفاف ، لأننا اعتدنا أن نواجه الأمور على هذا النحو ، وربانا أبوانا على الجلد وضبط الاحساس . أما أحمد فكان بطبيعته هزالاً يركب الحياة بالدعابة والبشاشة والعبث ، وقد أحبنا وأحببناه وآنس بنا وآنسنا به ، فعاش معنا وآثر بيتنا على بيت أبويه وانتهى الأمر بما كان لابد أن ينتهي به — أي أن يتزوج أختي — ولست أعرف أسرة أخرى تعيش هذه العيشة السعيدة الرغيدة ، وحسبك أن المال موفور وأن الطباع رضية والأمزجة متطابقة

* * *

ومن عادة أحمد أن يغني وهو في الحمام . ولست أعني أنه يغني الأصوات الشائعة ، وإنما أعني أنه وهو في الحمام يصف كل ما يعمل ويرفع الصوت بالغناء بهذا الوصف ، فاذا كنت على مقربة من الحمام لم يسعك إلا أن تسمعه يقول — أو يغني على الأصح — « أين الاسفنجة ياسيدي ... لا بد أن تكون هذه الزوجة المهملة قد ضيعتها ... ومن يدري يا حبيبي ... فلعلها خبأتها عمداً ... آه يا روحي ... وأين الكبريت ... أظنني نسيته ... هذا خازوق يا حبيبي ... وكيف أسخن الماء الآن ... يالعنة الله انزلي رأس الذي اخترع التدفئة بالغاز ... آه يا عيني ... والله وجدته ... نجد الكبريت فلا نجد القرش الذي نضعه في الثقب لينطلق الغاز ... ويسخن الماء فلا نجد الاسفنجة ... واجد كل ذلك وأنام في الحوض ويبدأ الشعور بالراحة وإذا بالغاز قد فرغ ... وأخذ الماء يبرد ... ويجب أن أخرج من الحوض لأضع قرشاً آخر في الثقب ...

وأبحث عن الكبريت ... والكبريت مبلول ... مملوم يا سيدى ... أو الكبريت فرغ ... طبيعى أصبح ... ومن يسمع ... ألبس البرنس وأخرج لأجىء بكبريت ... خازوق آخر يا حبيبى ... لقد نسيت الغاز مفتوحاً ... فالحمام كله غاز ... وستختنق يا ولد إذا لم تفتح النافذة ... إفتح يا سيدى وابرد ... وحوح يا حبيبى من البرد ... الذى سمى هذا حماماً كان ولاشك ابن حرام ... »

وهكذا إلى غير نهاية ... ومن تحصيل الحاصل أن أقول إننا اعتدنا أن نقف قرب الحمام كلما دخل فيه أحمد لنعرف ما يجرى له فيه فنقع على الأرض من كثرة الضحك . ولا بد أن يحدث له شىء لا يحدث لسواه لأنه كما أسلفت سريع النسيان : ينسى أين وضع الأسفنجة ، وأنه رمى الكبريت فى الحوض ، وينسى أنه نسى أن يجىء معه بقروش ليضعها فى الثقب فأنه يبقى فى الحوض ساعة أو ساعتين وهكذا . ولولا أنه نساء لما اتهمناه عامدين لنضحك ولكنه أغنانا عن ذلك

وكان حسن قد استيقظ ونهض ليلحق بنا ويجلس معنا فألفانا عند الحمام واقفين وإن كانت المقاعد فى الدهليز فحيا بيده فأشرنا إليه أن اسكت . ورآنا نبتسم وأحس من هيئتنا أننا نتسمع فمشى على أطراف أصابعه ووقف معنا يصغى أيضاً وكان أحمد يقول :

« قالوا العقد ضاع ... قال ضاع ... كلام فارغ يا حبيبى ... والله ما أخذه إلا هذا الحرامى الذى نزل فى ضيافتنا ... بالطبع سرقه ... فى عمر أمه ما رأت مثله ... الأقارب عقارب يا سيدى ... ضاع العقد يا ستى ... أنا المسكين يا حبيبتى ... هات لى عقد غيره يا سيدى ... طبعاً يا ماما ... من يدرى ... لعل العقد لم يضع ... أبوه يا سيدى ... لم يضع ... الأرجح ... والمعقول أن يكون فى الدولاب ... أخفته الزوجة الصالحة لأشترى لها عقداً سواه ... النسوان ملاعين يا روحى .. قالوا العقد ضاع ... ضاع فين بالله يا أهل القونطة ... لا يا ستى العقد فى الدولاب ... والغرض مرض . . »

وكان يبدىء ويعيد فى هذه المعانى ؛ فأما حسن فلم يفهم وكان ينظر منى إلى أختى ، وكان يرانا نضحك فيتكلف الضحك مثلنا ، وأما أختى فضحكت أولاً ثم لما سمعته يتهمها بأنها خبأت العقد لتطالبه بحلية تجهمت فشددت على ذراعها فنظرت إلى مبتسمة وهزت رأسها وعاد إلى وجهها الاشراق ، ولكنها لم يسعها إلا أن تقول لنا ونحن نمضى عن الحمام قبل أن يخرج هو علينا « شف ... ينسى أين وضع العقد ثم يدعى أنى خبأته . . طيب . . »

وقال حسن : « ألا تقولون ما هى الحكاية »

فضحكت وقلت : « الحكاية باختصار أن أختى لا تجد عقدها . . . وأحمد يتهمك بسرقة العقد . . لقد سمعته بأذنك . . والآن أفهمت ؟ »

وكانت هذه صدمة فان معرفة حسن بأحمد يسيرة ، وإن كان من أقاربه الأدنين ، ولكنه احتمل هذه الصدمة ، وأسرعنا نحن فعرفناه بأساليب قريبه فضحك معنا ، ولكنه مع ذلك صار يطرق من حين الى حين كأنما يحدث نفسه بشىء

وخرج أحمد أخيرا ، ودخل علينا وفى يده صحيفة يتأملها وينظر الى الصور التى فيها فما كانت له عناية بقراءة الصحف ، وجلس الى المائدة وأدار عينيه فيما عليها ثم سأل : « ماذا أعددت لنا يا امرأة ؟ »

فاغتنمت أختى هذه الفرصة وصاحت به : « ألا تنتظر حتى يستعد الباقون للأكل . . ماهذه الشراهة . . . ثم كيف تزعم أنى أخفيت العقد لتشترى لى سواه ؟ »

فقال ببطء : « الجواب على السؤال الأول

بالنفى ... النفى البات ... أما الشطر الثانى من السؤال فأوان الرد عليه يكون بعد الأكل ، فانه يحتاج الى عقل ، والعقل يذهب به الجوع »

فصاحت به : « ولكن كيف تجرؤ ؟ ... »

فقال بهدوء : « من الغريب أنى جئت هنا لآكل لا لأتكلم . . نعم الأكل أولا يا امرأة »

فقالت : « هل عنيت بالبحث فى ثيابك ؟ . . بالطبع لم تعن . . »

فالتفت الى حسن وقال : « شف يا حسن . . شف . . . احذر يا بنى أن تتزوج . . لا عذر لك وقد رأيت بعينك ما تصنع الزوجات ببعولتهن »

فقال حسن : « أظن أنى سأتزوج . . وعلى فكرة كيف تسمح لنفسك أن تتهمنى بالسرقة ؟ »

فرفع أحمد يديه الى السماء ثم التفت الى حسن وقال : « وأنت أيضاً . . لم يبق لى عيش فى هذا البيت . . فلأرحل »

ونهض وقال : « يا امرأة إنى فى المكتب »

* * *

لم ندع مكانا فى البيت إلا بحثنا فيه ، ولا ثوبا فى خزانة أحمد إلا نفضناه وقلبنا جيوبه — حتى السجاجيد رفعناها ونظرنا تحتها . . حتى الستائر نحيناها وأجلنا عيوننا فيما وراءها وفيها أيضا مخافة أن يكون حبل العقد قد علق بشىء منها . فلم نجد لا عقدا ولا حبة من عقد فيئسنا وحل الاكتئاب محل البشر ، فقد كنا الى ما قبل ذلك نعتقد أن العقد موجود فى مكان ما ولكن أعيننا لا تراه . وقد أعدنا البحث مرة وأخرى لظننا أو توهمنا أننا نخطيناه بعيوننا ونحن نديرها كما هى العادة فى حالة الاضطراب . ولم يكن أحمد يعفينا من مزاحه فى خلال هذا البحث المتعب ، فلما كففنا قال وهو يضطجع ويشعل سيجارته : « لا فائدة . . لقد كنت أعلم من أول الأمر أن لا فائدة . . قلت لكم مائة مرة إن هذه الزوجة تعرف أين يوجد العقد ... نعم هى خبأته »

فصاحت به : « ألا يمكن أن تسكت . . »

فقال : « أسكت ! وكيف تحملينا كل هذه المشاق من أجل خرزات ؟ . . »

ولم يتمها فقد هجنا به احتجاجاً على وصف حبات اللؤلؤ بأنها خرزات

ولما قربت الضجعة قالت أختى : « اسمعوا . . إنى لم أعد أطيق البقاء هـــذا النهار فى البيت فلنذهب الى أى مكان آخر ولنتغد هناك . . »

وكان هذا اقتراحاً حسناً ، فان بقاءنا فى البيت كان خليقا بأن يغرينا باستئناف البحث مرة أخرى فنشقى على غير جدوى . فمن الخير أن نخرج وأن نقضى النهار فى مكان آخر ثم نعود . . ومن يدرى فقد نجد العقد تحت عيوننا حين نعود كما يحدث كثيرا . وما زلت أذكر كيف كنت مرة أبحث عن قلمى وكانت أختى معى ، فلما تعبنا جلسنا على الكراسى وهممت بأن أخرج سيجارة ، وإذا بالقلم بين أصابعى ... ومن الغريب أن أختى لم تره فى يدى كما لم أره . . . وقد ذكرت أختى بهذه الحكاية أو الحادثة وفى مرجوى أن أبعث فى نفسها الأمل فلا نقضى النهار يائسة مكتئبة فى سرها وإن كانت تتشجع وتتجلد ولا تبدى جزعا

وقمت الى حمامى على حين راح غيرى يلبس الثياب استعدادا للخروج . وكان طبيعيا أن يفرغوا من شأنهم قبلى ، وأن يستبطئونى فانى فى حركة دائمة فى الحمام وهم لا يصنعون شيئا بعد أن لبسوا الثياب ووقفوا ينتظرون ، وليس أشد على المضطرب القلق من الانتظار . فأقبلوا على باب الحمام يدقون عليه بأيديهم وينقرون بأصابعهم ويدعوننى أن أسرع ،

وكان أحمد يتخذ من باب الحمام طبلة

وأخيراً خرجت فما يمكن أن تكون لمستحم راحة أو لذة وعلى بابه من يصيحون به ويسمعونه ما يكره ، فلحقوا بي في غرفتي ، ولكني أخرجتهم منها بجهد ، فاني مستعد أن أحتمل كل شيء إلا أن يحيط بي هؤلاء الصائحون الصاخبون وأنا ألبس ؛ على أني أسرعت وعجلت لأتقي شر هجومهم على كرة أخرى ، وكانت ساق لا تزال أحسها ثقيلة مما أصابها في السويس وهاضها وإن كانت لا تؤلمني ، فلما صرت اليهم في الردهة وقفت هنيهة أدعكها لألينها فسألتني أختي : « ألا تزال تؤلمك ؟ »

فقلت : « كلا ، لا ألم ولكني أحسها ثقيلة »

فقال ابن عمي : « كاك ثقيل يا أخي .. تعال »

فقلت : « ولكني حقيقة أشعر أنها أثقل مما كانت أمس »

فقالت أختي : « طبيعي هذا من الجهد الذي تكلفته اليوم في البحث »

فاقتنعت ونزلنا الى الباب ، وكان ابن عمي قد جاء بالسيارة قبل ذلك وتركها أمام الباب ، فجلست أختي ومعها حسن على المقعد الخلفي ، واتخذ أحمد مكان القيادة ، وقلت له وأنا أفتح الباب الآخر لأجلس الى جانبه : « لعل درس الأمس نفعك ، فلا تكرر أخطاءك المعتادة »

فزام أولا ثم قال : « ولكن إذا كنتم تريدون أن أشرفكم بتولي القيادة العامة ، أفلا يحسن أن أعرف الى أين يراد مني أن أحملكم ؟ »

فقالت أختي : « أوه ... الى أي مكان .. الى القناطر الخيرية إذا شئت ... أو الى حديقة الأورمان ... أو ... أي مكان تحب »

قال حسن : « الى القناطر إذن ... اركب ياهذا أم تريد أن أنزل وأحملك ؟ »

وكان الركوب يحوجني أن أحمل ساق بيدي لأن ثنيها كان يؤلمني في موضع الركبة ، فجلست على المقعد ووجهي الى الباب وملت على ساقي وهي ممدودة لأحملها وأدور بها وأدخلها في السيارة ثم ارتددت ضاحكا ، فسألتني أختي عن الخبر فقال لها زوجها : « دعيه .. إنه يحلم .. لايزال نائما .. لاشك أن الحلم لذيذ ... ألا ترين ... أعني ألا تسمعين ... »

فمسحت أولا الدموع التي ترقرقت في عيني من فرط الضحك ، ثم مسحت بطني التي صارت توجعني ... ثم تنهدت وقلت : « آخ ... مسألة طريفة جدا ... »

فقالت أختي : « ولكن ما هي الحكاية ... أتظن أن من اللائق أن نقف ساعة أمام الباب ؟ »

قلت : « أظن أن الواجب أن ندخل .. نعود الى البيت دقائق قبل أن نخرج الى رحلتنا .. »

فنهضت أختي عن مقعدها قليلاً وزحفت الى الأمام مقدار شبر ، ووضعت كفها البضة على كتفي وقالت : « لا تعذبني ... انطق »

قلت : « لا حاجة بي الى الكلام ... خذي »

وانحنيت فأخرجت العقد المفقود من طية البنطلون عند حرفه ورفعته الى عينها وقلت : « لقد كنت أظن أن ساقي اليوم أسوأ مما كانت أمس لأني أحسها أثقل ... فالآن عرفت السبب ولكني لا أعرف كيف سقط العقد في طية البنطلون .. »

ولا أزال الى الآن أجهل كيف أمكن أن يحدث هذا ، وإنما الذي أعرفه أن أختي فرحت وأن ابن عمي حاول أن يركبني بعبثه المألوف ، فوضعت كفها على فمه فقبل أصابعها ثم عضها فصرخت فقال : « هذا جزاء من يدافع عن السراق واللصوص والخونة »

ابراهيم عبد القادر المازني

# ماريا

## أقصوصة انجليزية

بقلم الأديب احمد عبد العظيم شحاته

... لو أنك ترفقت قليلاً فى سيرك ، ولم تك مسرع الخطو وأنت تطوى حافة الميناء منذ عشرة أحوال قضت للحظت زورقاً فضى اللون جذابا يحتمله النهر — فى عتمة الليل — فوق صدره الثائر المرتجف ، وقد توارى من صفع الرياح القاسية فى ناحية قاصية خلف سد منيع قائم بين الأمواج ...

فاذا ما الفجر انبثق وجرى نسيمه الوانى الرقيق ، انفلت الزورق من قيده ودلف إلى عرض النهر هادئاً وادعاً ينساب كالثعبان ... يغمره سحر الفجر وجلاله ويلفه صمت رهيب متصل ... وفى سويعات الظهيرة ، وقد احمرت عين السماء وعم الضجيج ودبت الحركة ... هنالك يتراءى من وراء الأفق البعيد شراعه الناصع الرقيق مقبلاً يتهادى فى فتور وعناء ، وقد أنقض ظهر الزورق الرشيق أكوام السمك القانعة ذات البريق ...

وتوقف الربان فوق رأس الزورق بين الأمواج الوادعة ذات صباح منصوب الصدر مرفوع الهامة يرنو إلى السماء ويجيل عينيه فى أنحائها برهة موجزة لا ينشب بعدها أن يتحول عنها قائلاً لرفيقه المطرق الكئيب :

— ألا ترى يا صديق الغيوم فوقنا تتلبد ؟ .. ثم السماء هى الأخرى توشك أن تثلجنا ... أليس الرأى عندك أن نؤوب ؟ ..

وظل الربان فى موقفه يتطلع إلى زميله وهو مطرق ذاهل حتى رفع رأسه من بين كفيه فى تؤدة وعناء ، وطفق يرق ببصره الزائغ إلى السماء رويداً رويدا ، ثم ما لبث أن استرده وقد انتشر على شفتيه بسمة طفيفة ساخرة وهو يلقى جوابه الوجيز :

لا . لا إخالها تفعل ...

ثم عمد إلى راحتيه فأسلم إليهما رأسه المكدود وعاد السكون الحاد فالتأم فوق رأسيهما من جديد ..

لم يكن تونى ملاحاً خبيراً ، وكنت أحنو عليه حنو الاخوة لأن أمى — أعزها الله وأكرم مثواها — حملته إلى مقرنا ووضعته بيننا رضيعاً يتيما فارقه أبواه وخلفاه وحيداً ، فدب معنا وجرى مجرانا حتى إذا ما بلغ مبلغ الرجل فتش عن ذويه فما وجد لهم أثراً ولا لنفسه موئلا غير موئلنا ، فارتضى عشرتنا واطمأن إلى جوارنا ... وكنت فى هذه الاثناء يافعاً حلو القسمات أملس الشعر فاحمه ، رحيب ما بين المنكبين مستوى العود فارعه ، وكان تونى على نقيضى ضاويا نحيلاً مُكفأ اللون لا يفيق قط من أحزانه ، ممعوناً أبداً من غير سبب أو علة ظاهرة ... يكُمد بدنه ويغلو — متلذذاً مرتاحا — فى تمنيته وتجشيمه صنوف التعذيب والارهاق ...

وكنت لا أملك وإياه من متاع الدنيا شيئاً غير هـذا الزورق الذى يسمى كل يوم مع الشمس ، وحانوت ضئيل حرج نبيع به السمك الذى نصيد .. وكن لم يمض يوما غرفتين باردتين عاريتين تقومان خلف الحانوت بقليل . .

وأحسست يوماً أن صدرى يضيق وأن قلبي ينقبض ، فمشيت إلى الفضاء الوسيع الذى يحاصر مسكننا ألتمس الراحة والهدوء ، غير أننى ما كدت أنقل فيه بعض الخطى حتى أظلم الكون فى عينى وأحسست أن الأرض تميد تحت قدمى . . وبدرت منى حينئذ صرخة دوى بها الفضاء . . وألقيت ببصرى إلى الأرض فى لهفة وسرعة ، فاذا الدم يتصبب من قدمى حاراً غزيراً .

لقد قيل لى يومئذ إن مسماراً حاداً منتصباً ، هو الذى وطئته قدمك شبه العارية ، فكان هذا الدم القانى الذى روعك ... ولكننى فى الواقع لم آبه لشىء مما وقع إلا عند ما أبصرت القيح يوماً يطوق فوهة الجرح من كل جانب ... عندئذ تسرب الىّ الخوف ، ولم أجد إذ ذاك بداً من أن أهرع إلى المستشفى ... وهناك فى طريقى بدا لى طيف صديقى وحيداً صامتاً ينهض بأعباء عملينا الناصبة المضنية والعرق يتفصد من بدنه الناحل الهزيل ... لقد أخذتنى الشفقة به فألححت عليه أوصيه أن يترفق بنفسه وأن يشرك معه من يقوم مقامى حتى يحين أوبتى . .

وانصرفت أسابيع قلائل أنفقتها جميعاً تحت سقف المستشفى حتى اندملت قدمى وقاربتُ الشفاء ؛ عندئذ رأيت أن أفارق محبسى فشخصت إلى مقرنا من غير أن أعلم صديقى ... وأدركت بابنا الصغير فألقيت يدى على مقبضه ، ولكننى دفعت دفعاً هيناً رفيقاً حتى لا يسمعنى صديقى ... كنت أبغى أن أفجأه إلا أننى ما كدت أخطو أول خطوة حتى وقع بصرى على فتاة رقيقة فاتنة ما كادت تلمحنى فى مكانى حتى بادرت إلىّ قائلة فى لطف ودعة : هأنذى ياسيدى . . أأستطيع أن أقضى لك حاجة ؟

عرانى وجوم شديد وتولتنى وقتئذ الحيرة ، فمددت إلى لسانى استحثه واستنهض همته فخذلنى الثرثار ولم ينبس بغير هـذه الكلمات القليلة التى بها من مكمنه ، ثم عاوده جموده وتصلبه : نعم . . خدمات كثيرة يا آنسة ... وما كدت أفرغ من إلقائها حتى رنّ بغتة من وراء الحجرات صوت رخيم بدد السكون المخيم وملأ أذنىّ كما ملأ جو الغرفة .. وتبينت هذا الصوت جيداً فاذا به ! . . يا عجبا ! . إنه صوت تونى ! تونى يغنى . . . تونى الكئيب المنقبض . . . تلك لعمرى إحدى المعجزات . .

وهفت نفسى إلى رؤية هـذا المنظر العجيب ودرت على عقبى أحاول العدو إليه قبل أن يرتد إليه حزنه ، إلا أننى والحق أقول ألفيت نفسى عاجزا وأطرافى جامدة لا تقبل الحركة ، وأحسست رغبة وجنوحاً قوياً للبقاء ، فلبثت فى مكانى أجيل عينى فى قوامها الساحر المشوق .. فى خديها الناعمين .. فى فمها القرمزى الدقيق . . فى ساقيها الممتلئتين . . فى . .

— سيدى ما حاجتك ؟ .

ووجدت لسانى فقلت : ولكن خبرينى أيتها الآنسة الصغيرة ماذا تفعلين هنا ؟!

فأجابتنى وقد غطى الدهش صفحة وجهها الجميل :

— إنى أبيعك . . أنت أو غيرك من هذا السمك .. أنا ماريا ، أما أنت فأجهلك ويخيفنى منك صمتك ونظراتك ..

— ولكن هيبتى كتمتك حقيقة أمرى

فهزت كتفيها الصغيرين ومدت شفتها الدقيقة قائلة :

— وماذا يضيرنى يا سيدى ؟ بل ليتك تفعل

قالت ذلك واتخذت سبيلها إلى بعض الآنية تتناولهـا واحدة فواحدة وتنفض الغبار عنها ثم تردها إلى مواضعها ، ووقفت أنا أرقبها عن كثب . كانت رائحة ساحرة .. وجسدها ناعماً مغرياً يشف عنه ثوبها الحريرى المحبوك . . . وسنحت فى رأسى فكرة : لابد أن تكون هذه غانية أتى بها صديق لتلهو معه . وكان السكون حولنا مرفرفاً والأبواب كلها مؤصدة . بيست أطرافى واشتدت ضربات قلبى والتهبت رأسى ثم شبت النار فى كيانى وما أسرع شبوبها فى كيان الملاح !

دنوت منها وجسمى يضطرب اضطرابا شديداً فارتدت إلى الوراء مذعورة ، وكادت توليني ظهرها فاحتوتها ذراعاى الممدودتان وتلقاها صدرى الملتهب ... وعالجت الفرار ولكننى استبقيتها ؛ ولم أشعر إذ ذاك بذراعى وهى تنساب منى وتطوق جسمها اللين الدافئ ، وتضمه إلى وهى تدفعنى عنها دهشة خائفة : سيدى ما هذا ؟ .. قف .. تمهل .. إننى لست عرضة للبيع سيدى .. — ولكننى لم أسمع اقوالها بل حدقت فى عينيها الصافيتين الخائفتين وشعرها المبعثر على محياها الوضيء ... لقد طار عنى صوابى وتلاشى السكون من أمام عينى فأهويت بفمى على ثغرها — كالمجنون — أغمره بالقبل وانشق أنفاسها الدفيئة العذاب ...

واضطرب جسمانا الملتصقان وانتبهت مذعوراً عند ما اخترق أذنى صوت من أقصى الغرفة ...

لم أك أقدر أن ثالثاً معنا يشهـد كل ما جرى منا .. كان جامداً كالتماثيل يتصبب منه الغم والألم ، ولم أدر لم كان يصوب إلينا هذا النظر المروع المخيف . وأخذ يتقدم نحوى متكلفاً السرور وهتف فى صوت متهدج تلوح فيه رنة الأسى العميق :

— ها أنت ذا أخيراً يا جيم ! كيف أجدك الآن ؟ كيف حال قدمك ؟ ولكنك لم تنبئنى بموعد قدومك إنه جيم يا ماريا صديق وشريكى

وأمسك عن الكلام هنيهة وطفق يمسح جبينه بيده ويقبض على فكيه ، ثم عاد ينظر إلى مستأنفاً قوله : (صديق .. أريدك وحيداً .. فى مكان خلى أريد أن ألقى إليك سراً )

وأمسك بذراعى وكان طبيعياً ألا أحجم أو امتنع عليه ، فاستسلمت له وانحدرنا إلى الطريق ومضينا فيها جنباً إلى جنب صامتين واجمين لا أحدثه ولا يحدثنى ..

وقف توني عن السير فجأة ، فالتفت إليه فابتدرنى ضارعاً مستعطفاً :

— ألست تعلم يا صديق أننى قضيت العمر حزيناً كاسف البال موجع القلب :. حتى قيض الله لى ماريا ؟ كم أحبها ياصديق ! .. لقد بعثت فى الحياة .. بددت عنى الهموم . تصور أننى أصبحت كلفاً بالغناء ! دعها لى بربك ولا تصرفها عنى ... إنك جميل ؛ وإن شئت سعى إليك كل النساء ؛ أما أنا فخلق سيئ ووجهى دميم ، لاأفوز إلا بسخرهن

لقد مست كلماته منى موضع الألم فأقبلت عليه

أحاول الترفيه عنه :

— كم أنت طيب القلب يا تونى !.. إن ماريا هذه ليست لى ولا لك ... سلنى عن هذا الضرب من بنات حواء ... إنها امرأة الجميع ..

ما كدت أتم كلمتى هذه حتى فوجئت بلكمة قوية قاسية أطارت صوابى وطوحت رأسى إلى الوراء ، وكدت أسقط على أثرها لولا أن تماسكت قليلا وفتحت عينى دهشاً متعجباً فألفيت صديقى يرغى ويزبد ويتأهب للكى ثانية ، فأسرعت إلى وجهى أغطى صفحته بقبضتى وما خطر لى حينئذ أن ألطمه لملى أن اللكمة من يدى قد تؤدى به إلى التهلكة ، فصحت به وأنا أتراجع إلى الوراء أن كف يا تونى ولا تكن غبياً ، ولكن قبضته خلصت إلىّ واستقرت فى بطنى ..

لقد صورت لى شدة الألم أن جسمى قد ارتفع عن وجه الأرض فهجمت عليه من غير وعى وضربته ضربة دار على أثرها ثم هوى بجسمه الضئيل تحت قدمى

وتهافت الناس مسرعين من كل حدب وانحنيت بقامتى المديدة على صديقى المجدل الصريع واحتملته بين ذراعى كالطفل ومضيت به إلى صيدلية قريبة ... وسألنى الصيدلانى وهو يهرول مسرعاً من وراء قواريره وزجاجاته : « ماذا حدث .. ماذا جرى له ؟ » ولكننى لم أستطع جوابه فقد كان حلقى جافاً وكنت فى شغل عنه أصلى من أجل صديقى وأضرع إلى الله أن يفتح تونى عينيه وأن أرى الحياة تسرى فى كيانه ... وحقق الله رجائى عندما قرب الصيدلانى يده حاملة إلى أنف صديقى زجاجة صغيرة فاهتز رأسه ثم فتح عينيه الوادعتين برفق فقلت له :

— عفواً يا تونى ! إننى ما قصدت إلى إيذائك قط ولكن ...

— ولكن هيا بنا ولننس ما قد سلف

لكننى كنت على يقين من أن تونى لن يغيب عنه مما مضى شىء ... وانطلقنا عائدين وسبقنى هو إلى الدخول فتلقفت إليه ماريا ثم أنشأت تضحك ملء شدقيها وتقول : « تونى ... إنك تبدو مضحكا للغاية » ونظرت إليه فإذا لونه يزداد انتقاعا !.. هى إذن لا تضمر له الحب ... فلو كانت تفعل ما سخرت منه ولا اتخذت شفتيه الغليظتين الداميتين هزؤا !

كانت لطمة أخرى عنيفة تلقاها البائس ومضى على وجهه حتى داراه باب المخدع ، وأقمت أنا فى مكانى وقد رأيت رأياً خلته كفيلا بأن يرد إليها هناءنا المفقود .. لم أكن متماسكا بل أحسست كأن ماء بارداً يجرى فى عروقى عندما ناديتها فدنت منى تسألنى فى صوت لين رقيق عما أطلب ؛ بيد أنى أخذت أقص عليها كل ما دار بينى وبين صديقى وهى تنصت لى والابتسامة على ثغرها تتسع شيئاً فشيئا ، حتى إذا ما فرغت من حديثى أطلقت ضحكة خافتة :

— إننى لست فتاته ولا فتاة غيره يا سيدى . وهب أنى سأعشق يوماً فثق أن من أعشقه سيكون رجلاً قوياً لا شبحاً هزيلاً . وكان طبيعياً أن يخلص إلى الزهو فأعجب بقوتى وبنيانى ولكننى تأهبت لأنبئها عما انعقدت عليه نيتى

ماريا ... لقد ارفض عنى الألم وأصبحت على النهوض بعمل قادراً ، فخير لنا ولك أن تطرق عملاً غير هذا !

كان لكلماتى عليها وقع شديد فلبثت على أثرها مبهوتة شاخصة ، ثم اندفعت نحوى

وأمسكت بذراعي قائلة :

— رحمٌ ... أيطاوعك فؤادك أن تحرم فتاة مثلى رزقها ! ؟ . لقد نضيت وقتاً طويلاً مشردة ساغبة حتى وفقت إليه ... بربك لا تدرني أرحل وشرعت تبكي وتنتحب ؛ ولم أك في حياتي قد شهدت امرأة بين يدي تبكي فلا عجب إن بدا مني الضعف والخور حيال دمعها المدرار ...

مضت الأيام مضيا بطيئاً ثقيلاً ، ومضى كل منا يعمل عمله في صمت وهدوء ، وأخذ تونى منذ ذلك اليوم يتجنب لقاء ماريا ، وأخذت أغني معها قاعات الجو كلما هوى قرص الشمس وأظلنا الدجى .

وانبثق نور الفجر ذات يوم فولينا وجهينا شطر الميناء . . ووقفت فوق صدر الزورق منفرج الساقين منقبض الصدر يتملكني شعور مبهم ثقيل ، وتحدثني نفسي بشر مستطير ... كان الضباب أمام أبصارنا منعقداً كثيفاً ، والزورق من تحت أقدامنا قلقاً مضطرباً يتقاذفه الموج الثائر المصطخب ، والريح تملأ الفضاء زئيراً مخيفاً مزعجاً ، وطفت ببصري أبحث عن تونى فألفيته في قاع الزورق يحدجني بنظرات مفزعة وعرر يده يرفق فوق خنجره ، فاشتد رعبي وانفجرت صارخاً بين هدير الأمواج وزئير الريح :

تونى . لا بد لنا من العودة ... هيا اطو الشباك .

وامتثل تونى على الفور وطفق يجذبها في تؤدة ويكدسها تحت قدميه وهو ثابت هادئ وجعلت أرقب فراغه بلهفة وشوق حتى أسرع بتوجيه الزورق صوب الجنوب ، ولكنه ما كاد يأتي على آخر الشباك حتى أحسست أن قلبي قد فارق موضعه وانقضضت عليه أحاول القبض على ذراعيه :

— تونى لا تفعل ... رد الشباك ثانية ولا ترفعها . أنظر إن بها ( القاتمة ) ! إنها فأل سيء ، سيهلك ولا ريب أحدنا يا صديق .

لكنه وكأنه لم يفقه قولي ظل يضم الشبكة اليه والسمكة الرهيبة تدنو منا شيئاً فشيئاً .

— تونى ... لا تكن نزقا ... ستجر علينا الكوارث ... ستسوق إلينا الويلات .

أصم تونى أذنيه وتركني في مكاني ، وانطلق مسرعاً نحو كومة الحراب فاستل منها واحدة وعاد فصوبها الى السمكة الهائلة ، فلما أصابها شدها بحبل غليظ الى الزورق وتركها تتخبط وتتملص وتضرب الماء تريد النجاة ...

وقصدت السكان مستسلماً ونظرى لا يفارق تونى وهو يلوح بخطاف غليظ في يده حتى بلغ مربط السمكة فأخذ يربطها به ... وارتفعت أمامنا في هذه اللحظة جبال من الموج هائلة فانصرفت عيني الى الزورق وعندما التفت الى الوراء جمد الدم في عروق ! ...

كان تونى على قيد أقدام مني بشع الهيئة مخيف المنظر يقهقه والخطاف في يده يضطرب :

— تونى ماذا جرى لك ؟... وصحت مرتاعاً : تونى هل جننت ؟

فأجابني في صوت مختنق مرتعش كحشرجة الموتى :

— أجل ... أجل ... منذ شهور ثلاثة والنار تأكل مني ... وأنت قرير العين عاريا .

كان صوته يقرع أذني كالطبول فخليت السكان ورحت أتراجع وهو يلحق بي حتى ارتطمت

قدمي بحافة الزورق .

— توني ... كيف أقسم لك أني ما كنت أشعر بأنك تتعذب .

وجف حلقي وأخذ العرق يتصبب من جبيني برغم برد الشتاء : — أتريد قتلي ؟ ...

— ليتني أقوى ... سأموت معك ... سيطوينا اليم ... سنصعد الى أمنا في السماء .

وحانت مني التفاتة الى النهر فصرخت فيه مذعوراً :

— توني ... انتبه ... حاذر .

ولكن كان الحبل قد التف حول ساقه فانتزعه (الوحش القاتم) وحمله معه الى اليم وهو ينظر اليّ مستغيثاً تمد منه اليدان ...

«وارحمتاه له !» قلتها وهو يغيب بين الأمواج .

«دعه يهلك ... لن يلومك أحد ... لقد أراد لك الموت ... فليلاق جزاءه» .

وسكنت الريح قليلا فشعرت أن هاتفاً يهتف باسمي بصوت كأنما ينحدر من علياء السماء ... لقد خيل إلى أن أمي تطل من بين السحب وتصيح به :

ولدي ... ولدي ... أنقذ أخاك .

وابتدرت المياه مسرعاً ومضيت أشقها بذراعيّ وهي تنهش جسمي نهشاً حتى رأيت صديقي بين معترك الأمواج يتخبط ويتشبث فاندفعت نحوه صائحاً : «توني ... توني ... لا ترحل ... إنني آت»

وطفقت أسبح وأرد الموج عني وألطمه بكلتا يدي ولكن ... دون جدوى ! كان توني قد ذهب ...

كانت ماريا واقفة لدى الباب عند ما طرقته بقدمي ، فلما أبصرتني وحيداً مشعث الرأس مبهوتاً سألتني وقد انتقع لونها : أين توني ؟

— لقد التهمه اليم ...

وارتميت على مقعد قريب ثم انفجرت باكياً ...

وإني لكذلك إذ شعرت بيد تربت على كتفي ، فرفعت وجهي فاذا بها قائمة فوق رأسي يفتر ثغرها عن ابتسامة بغيضة ... لقد بدا لي وجهها حينذاك بشعاً منكراً .

وثار في صدري الغيظ والمقت الشديد فصحت بها :

— هيا اخرجي من بيتي ... لا أطيق أن أراك بعد الآن ... إنني أكرهك .

— جيم ! ! .

— هيا قبل أن أحطم رأسك بهذا المقعد ...

وعدت أدراجي الى الطريق وجعلت أهيم على وجهي ذاهلاً مشرد العقل والساعات تتدفق على فلم أفق حتى كان الليل قد ولى مدبراً وصدر النهار يعلو رويداً رويداً ...

يوم جديد ! ... وأمسكت بين أهداب عيني دمعة مترقرقة ... أين أنت يا توني ؟ ... في غور الماء وحيداً ممدداً بين الصخور يخيم عليه الهدوء والصمت كعادته ...

أحمد عبد العظيم شحاته


آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألماني

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

وثمنها ١٥ قرشاً

# المرأة الشاعرة

## Imaginative Woman

للقصصي الانجليزي توماس هاردي

بقلم الأديب نظمي خليل

انتهى « وليم مارشل » من البحث عن مسكنه الصيفي في إقليم « سوانتس » في جنوب « ويسكس » ثم عاد إلى الفندق حيث كانت زوجه وأطفاله في انتظاره بعد أن قضوا سحابة اليوم في اللهو واللعب. وكانت الأم منصرفة إلى قراءة الشعر كعادتها، فلم تكد تراه حتى ألقت بالكتاب جانبا وأفاقت من ذلك الحلم الجميل الذي كانت غارقة فيه وقالت: إني أود أن تكون قد وفقت هذه المرة إلى منزل ملائم فقد ضقت ذرعا من طول مكثنا في هذا الفندق. فأجابها زوجها: إن المدينة مزدحمة والغرف ضيقة وأخشى ألا تجدى فيها ما تريد. هل لك أن تصحبيني إلى ذلك المنزل الذي رأيته اليوم؟ ثم خرجا معا تاركين أطفالهما الثلاثة في رعاية المربية

لقد كان هذان الزوجان مختلفين في المزاج والمشرب، فقد قضى الزوج حياته في صناعة الأسلحة ونشأ في جو صناعي بحت، بعيداً عن جو العاطفة والخيال الذي عاشت فيه زوجه الشاعرة، فلم يكن غريباً من امرأة رقيقة خيالية مثل « إلا » أن ترتاح إلى أعمال رجل مثل « مارشل ». إنها ليست عدوة للشعر فحسب، بل وللحياة أيضاً. فكانت إذا ما خلت إلى نفسها تفكر في ذلك الزوج وفي ثروته الطائلة، وفي قيمة هذه الثروة لها. وكانت في كل مرة تعود بعد ذلك التفكير الطويل بالألم والاشفاق على هذا الزوج الذي لم يعرف قط ذلك الجو الشعري الجميل، جو العواطف والخيال الذي كانت تطلق فيه مشاعرها المكبوتة وأحلامها المذبة تحلق في ساعات خلوتها وهدوئها

سار الزوجان حتى أتيا منزلاً صغيراً يشرف على البحر، وقد أحيط بحديقة شجراء فينانة؛ فاستقبلتهما صاحبة المنزل وأخذت تحدثهما عن ظروفها السيئة وعن موت زوجها المفاجئ، وعن وسائل الراحة التي تمدها لكل من يقيم في منزلها. فأعجبت مسز مارشل بالمنزل، ولكنها أرادت استئجار كل الغرف، فخاب أمل المرأة في كسب هؤلاء الضيوف، إذ كان هناك غرفتان يشغلهما شاب رقيق الجانب طيب القلب كريم الخلق لا تود أن يتركها، ولكنها تمتمت قائلة: لا بأس! ربما يخلي لكما هاتين الغرفتين بضعة أسابيع. وقبل أن يفرغ الضيفان من تناول الشاي أخبرتهما السيدة أن صاحبها الشاب قد رضى أن يخلي لها الغرفتين مدة ثلاثة أسابيع. فقال السيد مارشل:

« إنه شاب كريم حقاً، ولكننا لا نريد أن نزعجه في مسكنه »

فأجابته صاحبة المنزل قائلة : لا إزعاج ولا إقلاق فهو شاب غريب الأطوار تراه دائماً حالماً مطرقاً حزيناً يحب الوحدة ويتعشق الهدوء ، وهو يحرص على البقاء هنا فى فصل الربيع الباسم حيث لا أنيس له إلا البحر ؛ أما الآن فإنه ذاهب إلى إحدى الجزر القريبة كما يفعل كل عام تبديلاً للهواء . وفى اليوم التالى كانت أسرة السيد مارشمل تقيم فى ذلك المنزل الجديد . ثم مضى الرجل إلى البحر يرتاض على شاطئه الجميل ، وانصرف الأطفال إلى اللعب فى الخلاء ، وبقيت « إلا » وحيدة تلهو بما عسى أن تجده من كتب وآثار فى غرفة ذلك الشاب . فقد رأت رفوفاً من الكتب الغريبة النادرة قد تكدس بعضها فوق بعض فى نظام خاص يدل على أن صاحبها لم يفكر قط فى أن يداً غريبة ستمتد إليها . فقالت :

سأتخذ هذه الغرفة لنفسى إذ يظهر لى أن صاحبها مغرم باقتناء الكتب . هل يمكننى أن أقرأ بعضاً منها يا مسز هوبر ؟

— نعم ، إنه أديب ناشىء وشاعر واعد ، له دخل يسير يكفيه تكاليف الحياة ، ولكنه لا يشق له طريقاً فى المجتمع

— أهو شاعر حقاً ؟ لم أعرف هذا قبل الآن .

ثم تناولت كتاباً فرأت اسمه فى الصفحة الأولى فصاحت متعجبة : « يا للمصادفة : إنى أعرف اسمه حق المعرفة : « روبرت ترو » كذلك أعرف أشعاره . أهذه هى غرفته ؟ وهل هو حقاً الذى أخرجناه منها ؟

ثم أخذت تفكر فى ذلك الاتفاق الغريب .

لقد كان والدها أحد رجال الأدب البارزين فنظمت فى الأيام الأخيرة بعض القصائد أودعتها عواطفها الحزينة وأسفها على تلك الحياة الأولى ، حياة الحلم والزهر ؛ حياة المرح والشباب التى ضاعت جميعها فى ذلك الجو المكتئب المكفهر الذى أصبحت تشعر فيه أنها آلة للنسل وأداة للتسلية

وتشاء الظروف أن يقترن اسم هذه السيدة باسم هذا الشاعر الشاب فى إحدى المجلات الكبرى عقب فاجعة مؤلمة اهتزت لها عواطفها الشاعرة فأوحت إليهما فى وقت واحد بقصيدتين متحدتين فى الروح والعاطفة كأنهما فاضتا من نبع واحد ، حتى أن مدير المجلة قد نشرهما فى صفحة واحدة متعجباً لذلك الاتفاق الغريب

ومنذ ذلك الوقت أخذت « إلا » أو « جون إيفى » كما كانت تسمى نفسها تهتم بكل ما ينشر فى الصحف بإمضاء روبرت ترو . لقد اتخذت ذلك الاسم لترضى رغبة كامنة فى نفسها ، وحتى لا يرتاب الناس فى صدق إيحاءاتها إذا علموا أن هذه العواطف الجياشة والمشاعر القوية تفيض من قلب امرأة عادية هى زوج لأحد تجار الأسلحة وأم لثلاثة أطفال .

أما أشعار روبرت ترو فلم تكن تحمل طابع الشعر الحديث ، بل كانت فرجة اقتاب مكلوم بائس قد ضاق بالحياة أو ضاقت هى به فلم يعد يميز فيها بين أخس الطبائع البشرية وبين أرقاها . فكانت تلك السيدة إذا ما قرأت أشعاره تشعر بخيبة أليمة تحز فى نفسها لأنها لا تستطيع أن تحلق فى ذلك الجو السامى الذى يضرب فيه بجناحيه القويين .

ثم مضت بضعة أشهر نشر خلالها روبرت أول دواوينه الشعرية فكان باكورة طيبة استقبلها الشعب بشىء من التقدير مكنه من أن يكسب نفقات الطبع ، فأغرى هذا النجاح المتواضع جون إيفى على أن تجمع مقطوعاتها الشعرية المتناثرة فى كتاب واحد مؤملة فى أن تصادف بعض ما ظفر

به زوبرت من الاقبال والتشجيع ، ولكنها عادت بصفقة المغبون ، فلم يتصد أحد لكتابها بالنقد أو التقريظ ، بل لم يفكر أحد أن يعلق عليه أو أن يشير إليه ولو فى إحدى الصحف اليومية .

ولكنها لم تفكر كثيراً فيما أصابها ، فسرعان ما حطت بها أفكارها من عالم الشعر والأدب الى عالم الحياة والمنزل ، فقد أحست بجنين يضطرب فى أحشائها فانصرفت عن الأدب وتأهبت لاستقبال ذلك الضيف الجديد .

جالت هـذه الأفكار فى خاطر تلك المرأة التى وجدت نفسها أخيراً وعلى غير انتظار فى غرفة ذلك الشاب الذى ارتبطت به برباط روحى وثيق ، فنهضت عن كرسيها وأخذت تجول فى أنحاء الغرفة تتفرس فى كل ما تراه ، ثم دعت مسز هوبر تستفسر منها عن ذلك الشاعر الشاب فقالت :

— وهل يقيم هنا منذ زمن طويل ؟

— نعم . منذ عامين تقريباً وهو يحتفظ بهاتين الغرفتين حتى فى أيام سفره ، فان جو هذا المكان يلائم صدره . وهو يقضى وقته فى القراءة والكتابة لا يقابل أحداً ؛ وهو مع ذلك طيب القلب حلو الحديث يتمنى كل من يعرفه أن يصادقه . إنك لا تصادفين أمثال هذا الشاب كل يوم

— فى طيبة القلب ورقة الشاعر ! !

— نعم . حتى أننى كثيراً ما أغريه على الخروج من عزلتـه ، فيقوم برحلات قصيرة إلى باريس أو النرويج ، ثم يعود يشكرنى لأنه ذاق طعم السعادة بسببى

— إنه رقيق الاحساس لا شك

— أجل وإن بدا فى بعض الأحيان غريباً ، فقد حدث مرة بعد أن انتهى من نظم إحدى قصائده فى الهزيع الأخير من الليل أن ظل بقية الليلة يقطع الغرفة جيئة وذهوباً ، فأطار النوم من عينى ولكنى مع ذلك لم أضق به ولم أغضبه

كان هذا فاتحة الحديث عن ذلك الأديب الواعد الذى أخذ يصعد مدارج الشهرة فى وثبات واسعة موفقة .

وفى ذات يوم جاءتها صاحبة المنزل تلفت نظرها الى شىء لم تنتبه إليـه وهو آثار للكتابة بالقلم الرصاص قد نقشت على ورق الحائط خلف الستائر بالقرب من مكان الرأس ، فلم تستطع مسز مارشمل أن تحبس شعور الدهشة والرغبة ، فاندفعت الى الغرفة ، وانحنت برأسها الجميل حتى كادت تلمس الجدار . ثم أخذت مسز هوبر تشرح لها فى أسلوب المرأة المتمكنة من علمها الواقفة على جميع ما يحيط بها فقالت :

إن هـذه الكلمات هى خواطره الأولى التى يهمو بعقله وهو نائم فى فراشه ينقشها هنا خوفا من أن ينساها . لقد رأيت كثيراً من هذه الآثار منشورة بعد ذلك فى الصحف ولكن هذه الأشعار لم تنشر بعد

فاحمر وجهها دون أن تدرك السبب وشعرت برغبة قوية خفية فى أن تخلو الى نفسها . ولم تكد المرأة تنصرف الى قضاء حاجة لهـا حتى أسرعت مسز مارشمل الى غرفة الشاعر وأخذت تتلو هـذه الأشعار فى صوت موسيقى جميل حتى سكرت أذناها وشالت بها أفكارها الى السموات العلى

كانت الطبيعة فى ذلك اليوم غاضبة ثائرة ، فلم ترد مستر مارشمل أن تصاحبه الى البحر الهائج المزبد . أما هى فقد أخذت تضيق بتلك الحياة الرتيبة الثابتة ، وتنفر من ذلك الجو المألوف الثقيل ، إذ لم يعـد

ركوب البحر ولا السير مع الشاطىء متأبطة ذراع زوجها شيئاً بجانب تلك اللذة القوية التي أخذت تشعر بها كلما أوت الى غرفة ذلك الشاعر المجهول.

لقد قرأت أشعاره كلها فاستظهرتها، ثم حاولت أن تعارضها ولكنها عادت ودموع الفشل تترقرق في عينيها . وهكذا عاشت تلك المرأة المسكينة مغمورة بتلك المشاعر المذبة التي أوحت بها اليها غرفة ذلك الشاب الذي لم تره قط

لم يعد قلب تلك المرأة يغني على أوتار الحب الأول ، ولم يعد زوجها ينظر اليها أكثر من رفيق أو صديق ، ولكن قلبها كان لا يزال عامرا بالحب ، جياشاً بالعواطف التي تتطلب غذاء وإلا ذبلت وماتت . وأخيرا وجدت ذلك الغذاء في ذلك الاتفاق الذي لم تكن تحلم به

عثر الأطفال يوما على بعض ملابس ذلك الشاعر فأسرعت مسز هوبر ووضعتها في الصندوق كما كانت . أما الأم فقد شعرت بشيء غريب كتمته في نفسها حتى تحين الفرصة ، وسرعان ما حانت ، فقد خرجت مسز هوبر إلى قضاء بعض حاجاتها ، وخرج الأطفال يلعبون كعادتهم كل يوم ، فأسرعت الأم الى الصندوق وأخرجت منه حلة جميلة فارتدتها ، ووضعت قبعته المالية فوق رأسها . ثم أخذت تخطر في مشيتها تسأل نفسها : ألا توحي لي هذه الملابس بما أوحت اليه من روائع الفن ؟ لقد طالما خفق قلبه تحت هذه السترة ، وطالما تفتح ذهنه الجبار عن روائع الشعر وفوقه هذه القبعة ؟ ثم ما لبثت أن شعرت بضعفها بجانبه فعادت والدموع تكاد تطفر من عينيها ، ولكنها لم تكد تصل الى الصندوق حتى رأت زوجها أمامها فصاح : ما هذا الجنون ؟

فاحمر وجهها خجلا وأسرعت الى خلعها ، ثم قالت لقد رأيتها مصادفة هنا فارتديتها لأسري عن نفسي ألم الوحدة . ماذا أعمل مادمت بعيداً عني دائما ؟

بعيداً دائما ؟ حسن ! . . .

فلما جاء الليل ذهبت الى مسز هوبر تغذي شعورها بالحديث عن ذلك الشاعر البعيد . فقالت صاحبة المنزل : إنك تلذين كثيرا لسماع قصته . لقد أرسل إليّ خطابا اليوم يخبرني أنه سيأتي غدا لحاجته الى بعض الكتب

هل يمكنني أن أبقى هنا عند مجيئه ؟

— نعم يمكنك أن تقابليه إذا أردت ذلك

فشعرت بارتياح خفيّ عند سماعها هذا الكلام ومضت الى فراشها تفكر في هذا اللقاء المرقوب

وفي صباح اليوم التالي قال لها زوجها : لقد كنت أفكر يا ( إلا ) فيما حدثتني عنه من أني أتركك وحيدة دون أنيس . قد تكونين على حق في هذا ، ولكن الجو اليوم صحو ، والبحر رهو ، والنسيم رخو ، فهل لك أن تصحبيني الى نزهة قصيرة ؟ ولأول مرة شعرت ( إلا ) بعدم رغبتها في تلبية هذا الطلب ، ولكنها لم تمان رفضها . ثم اقتربت ساعة الخروج فأخذت تستعد لها ، ولكنها ما لبثت أن توقفت عن المضي في اللبس ، فان الرغبة في لقاء ذلك الشاعر المجهول كانت قد جرفت بعيداً سائر الرغبات الأخرى ، فقالت في نفسها : (إني لا أستطيع الخروج الآن) وأخبرت زوجها بذلك ، فمضى وحده

كان المنزل هادئاً في ذلك اليوم ، فقد خرج الأطفال الى الخلاء يلعبون ويمرحون ولم تعد تسمع إلا صوت أمواج البحر تداعب الشاطىء فرحة بذلك اليوم المشمس الجميل . لقد سمعت الباب يقرع ولكنها لم تر أحدا ، فلما نفد صبرها نادت مسز

هو بر وسألتها عن الطارق ، فأجابتها : إنه أحد الأشخاص يسأل عن سكن . لقد نسيت أن أخبرك أن روبرت قد اعتذر عن المجيء اليوم لعدم حاجته القوية الى المكتب . فران الحزن على قلب (إلاّ) وبقيت وقتاً طويلا نهباً لشتى الانفعالات حتى أنها لم تستطع أن تقرأ أغنيته الحزينة : (الأرواح المعذبة) إذ كان الحزن قد جفف ينابيع فرحها

— مسز هوبر . هل لديك صورة لـ . . . ذلك الشاب الذي يقطن هنا ؟

وكان الخجل قد عقد لسانها عن ذكر اسمه

— لماذا ؟ نعم . في داخل ذلك الأطار الجميل المعلق في غرفتك

— ليس هنا إلا صورة للدوق والدوقة

— نعم . إنها في داخل ذلك الاطار نفسه . لقد اشتريته خصيصاً لصورته ولكنه جاءنى قبل السفر وقال : « إخفي صورتي عن أعين هؤلاء الغرباء الذين سيقيمون هنا فانى لا أود أن يتطلعوا إلى صورتي » ولذلك أخفيت صورته مؤقتاً تحت صورة الدوق . يمكنك أن تريها إذا أردت فانه لا يغضب ؛ فلو أنه عرف أن الشخص الذى سيقيم في غرفته امرأة جميلة جذابة مثلك لكان حرياً ألا يفكر في إخفاء صورته

— وهل هو رشيق ؟

— إنه رشيق في نظري وإن لم يبد كذلك في نظر بعض الناس . ولكني أعتقد أنه شخص قوى يأسر كل من يراه ، في عينيه بريق الذكاء ، وفي بدنه روح العبقرى الثائر

— كم يبلغ من العمر ؟

— إنه يكبرك بسبع سنوات . أي أنه حوالى الثانية والثلاثين

والحقيقة أن (إلا) كانت فوق الثلاثين وإن لم تظهر كذلك . لقد كانت قادمة على تلك المرحلة التي تعتقد فيها المرأة أن الحب الأخير أقوى من الحب الأول . وفي تلك اللحظة جاءها نبأ من زوجها يخبرها أنه سيقضى ليلته في نزهة بحرية مع بعض أصدقائه . فقامت إلى المائدة وتناولت العشاء مع أطفالها ثم أمضوا جميعاً وقتاً على الشاطىء وهي لا تفكر إلا في تلك الصورة المختبئة وكأنها تتوقع أمراً مخيفاً

ثم عادت إلى المنزل ذاهلة عن نفسها ولكنها لم تجرؤ على إخراج الصورة حتى نام الأطفال وشعرت بالوحدة والهدوء . ولكنها بالرغم من ذلك لم تستطع أن تدنو من الصورة حتى ترضى تلك الرغبة الدفينة في نفسها ، فارتدت أنخر ثيابها وقامت إلى الأطار وأخرجت منه الصورة ووضعتها أمامها على المكتب . لقد كانت صورة قوية رائعة ، وكان الشاعر لابساً قبعة عالية تلقى ظلالاً رقيقة على جبينه . أما العينان اللتان وصفتهما صاحبة المنزل فقد كانتا تشعان ألماً وبؤساً

نظرت إلى الصورة طويلاً ثم تمتمت في صوت هادىء رقيق : « وهل أنت الذى كسف نوره القوي نوري هذه المدة الطويلة ؟ » ثم غابت في تفكير عميق حتى اغرورقت عيناها بالدموع ، ولمست شفتاها الصورة ، ثم مالبثت أن ضحكت ضحكة عصبية ومسحت الدموع من مآقيها ، وأخذت تفكر في نفسها كيف أن امرأة هي زوج لرجل وأم لأطفال ثلاثة تسمح لنفسها أن تنظر إلى شخص غريب في مثل هذه الحالة المريبة ؟

لا . إنه لم يكن غريباً . لقد عرفت أفكاره وعواطفه كما عرفت أفكارها وعواطفها ، فقد كانت نفس العواطف والأفكار التى كان يضطرب بها قلبها

والتى تفقدتها فى زوجها فلم تجدها . « إنه أقرب الناس إلى نفسى وإن لم تقع عليه عينى » . ثم ألقت بالكتاب والصورة على منضدة صغيرة بجانب السرير وأخذت تستعيد بعض أشعاره الوجدانية ثم ما لبثت أن أمسكت الصورة فى يدها وأخذت تنظر فيها وهى نائمة ، ثم التفتت إلى الأشعار المكتوبة بالقلم الرصاص على الحائط . لقد كانت جملا وسطوراً كأنها مذكرات « شيلى » . ثم شعرت أن أنفاسه الحارة القوية تصافح خديها وكأنها منبعثة من تلك الجدران التى طالما أحاطت برأسه كما تحيط برأسها الآن

لا بد أن يكون قد وضع يده هكذا وهو يمسك بالقلم . نعم . إن الكتابة مائلة مما يدل على أن الكاتب قد مد ذراعه هكذا . « إن الصور أكثر حقيقة من الانسان فهى غذاء الأبدية » هذه هى الأفكار التى خطرت فى ذهنه فى سكون الليل العميق عندما انطلقت روحه فى سماء الفكر لا تخشى نقداً ولا تهاب إنساناً ؛ ولا شك أن هذه الكلمات قد كتبها فى عجلة على ضوء القمر الخافت أو نور الصباح الخابى أو بصيص الفجر الأدكن . ثم تدلى شعرها حيث كان يضع ذراعه وهو يسجل تلك الأفكار الشاردة

لقد كانت نائمة على شفتى الشاعر محاولة أن تتقمص روحه وتشم أنفاسه خلال ذرات الأثير

وبينما هى غارقة فى بحار هذه التأملات العذبة اللذيذة إذ سمعت وقع أقدام على السلم فلم تكد تصحو من أحلامها حتى رأت زوجها أمامها يقول : معذرة ، هل بك صداع ؟ أخشى أن أكون قد أزعجتك

فأخفت الصورة فى حركة غريزية سريعة وقالت : ما بى من صداع . كيف جئت الآن ؟

فقال : خفت أن أتأخر الى الغد الذى أعددت له برنامجا آخر . لقد تعبت اليوم ولكنى مضطر أن استيقظ الساعة السادسة . سوف لا أوقظك . فرفعت اليه عينيها بينما كانت يدها تمعن فى إخفاء الصورة تحت الوسادة . فانحنى عليها وقال : أحقاً انت مريضة ؟

— كلا . ولكنى كاسفة البال فقط

— لا بأس

ثم انحنى عليها ثانية وطبع فوق جبينها قبلة

وفى الساعة السادسة استيقظ مارشمل وهو يتثاءب ويتمتم بهذه الكلمات : لست أدرى أى شىء كان تحت هذه الليلة

فرفعت (إلا) عينيها فرأت صورة روبرت فى يده

— حسن . لقد قضى على

— أمستيقظة أنت أم نائمة ؟

— ماذا تعنى ؟

— أرى صورة هنا

— أظنها لأحد أصدقاء صاحبة المنزل

— إنى أعجب كيف جاءت هنا

— لقد رأيتها أمس فرعا وقمت من يدى هنا

— إنه صديقك إذن

— إنه رجل ذكى وشاعر واعد وهو الذى يقطن هاتين الغرفتين ولكنى لم أره

كيف عرفت هذا ما دمت لم تره ؟

— مسز هوبر أخبرتنى ذلك عندما أعطتنى هذه الصورة

— حسن . يجب أن أتركك الآن . إنى لا أستطيع أن أصحبك معى . راقبى الأطفال جيداً حتى لا يبعدوا كثيراً عن المنزل

وما كاد مستر مارشمل يترك المنزل حتى أسرعت زوجته إلى مسز هوبر تسألها عن موعد حضور

روبرت . فعلمت منها أنه سيأتى فى نهاية الأسبوع

ثم عاد مارشمل قبل الغروب وأخذ يقرأ الرسائل التى جاءته أخيراً ، وفجأة قرر الرحيل بعد ثلاثة أيام

— ألا يمكننا أن نبقى هنا أسبوعاً آخر ؟ إنى أحب هذا المكان

— ولكنى لا أجد فيه ما يغرى بالبقاء

— إذن أبقى أنا والأطفال

وما الفائدة ؟ إنى مضطر إلى العودة ثانية لأصحبكم إلى المنزل . وعلى كل فلديك ثلاثة أيام أخرى

ولكن « إلا » رأت أنهـا مقضى عليها إذا لم تر روبرت ، فبذلت آخر جهدها فعلمت أن الشاعر يقيم فى إحدى الجزر القريبة منها فذهبت إليها ولكنها لم تستطع أن تهتدى إليه ، فعادت كاسفة البال مهمومة النفس وقد أصبحت الدنيا فى نظرها أضيق من كفة الحابل

ولكن السرور ما لبث أن انبعث فى قلبها فأنار جوانبه القاتمة . فقد عاد زوجها وغير رأيه وسمح لها بالبقاء حتى نهاية الأسبوع

ولكن الأسبوع قد مضى وروبرت لم يأت .

وفى صبيحة يوم السبت ، كانت مسز مارشمل وأولادها فى طريقهم إلى المحطة . لقد كان الطريق مقفراً ثقيلاً والجو خانقاً مكتئباً يبعث الضيق والضجر ولكنها بقيت بالرغم من ذلك تنظر إلى البحر وإلى الجزر المتناثرة فيه حتى غابت جميعها عن عينيها ، فأخذ قلبها المثقل بالهموم يتلهف إلى حيث يقيم الحبيب . عادت إلى منزل زوجها الريفى الجميل جسما بدون قلب كأنها قبر متحرك . وأخيراً كتبت إلى روبرت تبثه إعجابها وتسأله رأيه فى بعض مقطوعاتها الشعرية التى أرسلتها إليه ، ثم انتظرت الرد ، فسرعان ماجاءها ما كانت تخشاه ، إذ جاءها خطاب مقتضب يذكر فيه أنه وإن لم يقرأ هذا الاسم « جون إيفى » من قبل فسيعنى بكل ما تنشره بعد ذلك . وبالرغم من هذا فقد رأت « إلا » فى هذا الخطاب القصير معنى آخر ، فقد كتب إليها روبرت بنفسه وفى تلك الغرفة التى كانت تجلس فيها

ثم أخذت ترسل إليه من حين إلى آخر بأجود ما تسمح به قريحتها الفياضة لتسأله رأيه فيه ، ولكنها لم تتلق منه رأياً ، فعزت هذا الى أن روبرت يكتب اليها ظاناً أنها أحد منافسيه من جنسه

لقد كان روبرت صديقاً حميماً لصاحب إحدى المجلات الأسبوعية الكبرى ، وكان ذلك الناشر صديقاً مخلصاً لزوجها فكتبت إليه تدعوه لزيارتها وأن يصحب معه صديقه روبرت

كان الشتاء قد انتهى وانقطع المطر ، وأخذت الأزهار تتفتح ، والطيور تشدو فوق الأشجار ، واتشحت الأرض برداء الربيع

وفى اليوم الموعود فى الساعة الخامسة سمعت قرعاً بالباب فهرولت إليه ولكن هالها أن وجدت صاحب المجلة واقفاً وحده فسألته :

— أين روبرت ؟

فأجابها : إنى آسف كثيراً لعدم مجىء روبرت . إنه غريب الأطوار كما تعرفين . لقد وعدنى أنه سيحضر ثم عاد فاعتذر

— وعلى ذلك فهو لا يأتى اليوم

— نعم وقد أوصانى أن أعتذر إليك

— متى تركته ؟

— الآن على باب منزلك

— ماذا ؟ وهل مر بمنزلى ؟ !

لقد تحدثنا معاً بالباب ثم انصرف وهو فى حالة نفسية غريبة . فقد أخرجه عن نفسه مقال نشرته

إحدى صحف المساء ، نال فيه كاتبه منه كثيراً ، وبعد قرائته

— لا . إنه ليس جديراً بالتفكير فيه . فهو كثيره من مئات المقالات التي ينشرها أصحاب العقول القديمة الضيقة . إن موطن الضعف في روبرت أنه يهتم كثيرا بما يكتب عنه . . . ولكن كان واجبا عليه أن يعرف أن هناك من يعطف عليه ويعجب به

— نعم . نعم . لقد وصلته عدة رسائل من إيفى

— أيحب إيفى ؟ هل قال هذا ؟

— إنى لا أعتقد أنه أعجب به يوما

— ولا بشعره ؟

— لا ! .

وأخيرا أيقنت تلك المرأة المسكينة أن شعرها لم يستطع أن يرضى معبودها العظيم فذهبت إلى حيث ينام أطفالها وهجمت عليهم تشبعهم لثما وضما

أما الناشر فقد أدرك أنها لم ترد بدعوته إلا لقاء صاحبه ، فانصرف . وفى اليوم التالى نشرت إحدى صحف الصباح الخبر الآتى :

انتحار شاعر

انتحر مستر روبرت ترو الذى عرفه الجمهور منذ سنوات شاعرا مطبوعا ، وأديبا موهوبا فى منزله فى سوانتس بطاق نارى . إن الجمهور ليس فى حاجة الى تذكيره بديوانه الشعرى « أغانى المرأة المجهولة » الذى نشره فى العام الفائت ، والذى أثار ضجة كبيرة فى الأوساط الأدبية

انتحر عقب قراءته مقالاً عنيفا تناوله فيه كاتبه بالنقد والتجريح ، ثم نشر هذا الخطاب الذى كان قد أعده لأحد أصدقائه وهو :

« عزيزى : قبل أن يصلك خطابى هذا أكون قد وضعت نهاية لتلك الضجة التى ثارت حولى . لن أثقل عليك بسرد الأسباب التى حملتنى على هذا ، ولكنى أؤكد لك أنها وجيهة مقنعة . ربما لو كانت لى أم أو أخت أو صديقة لما فكرت فى أن أقطع مجرى حياتى هكذا . لقد طالما حلمت بتلك المخلوقة المنشودة التى استوحيتها ديوانى الأخير ، ولكن هذا الحلم لم يتحقق ؛ وأرى لزاما على أن أذكر ذلك حتى لا أحرج أية امرأة قد يظن أنها السبب فى هذه المأساة »

* * *

قرأت ( إلا ) هذا الخطاب وهى فى ذهول عن نفسها ثم أسرعت إلى فراشها وانكفأت على وجهها تبكى وتنتحب ثم أخذت تتمتم : « أواه لو عرفنى قبل ذلك ، أو لو قابلته مرة واحدة ! لو أمررت يدى على جبينه الساخن ثم قبلته ، إذن لكنت أذيقه طعم الحب وأشعره بالحياة ، ولكنت أريه استعدادى للتضحية من أجله ، ولكن القدر لم يهيىء لى هذا ولم يتح لى أن أنعم فى جنته

ثم قمت لساعتها وكتبت إلى صاحبة المنزل تطلب خصلة من شعر رأسه ، وسرعان ما جاءها الرد يحمل خصلة الشعر ومكان المقبرة

وفى أحد الأيام لاحظ زوجها أنها تخفى شيئاً فى صدرها فصاح : ما هذا . أخصلة شعر ؟

فتمتمت قائلة : لقد مات

— من ؟

— لا أذكر اسمه

— حسن . ثم مضى الى عمله حيث اتفق أن قرأ خبر انتحار ذلك الشاعر . وسرعان ما تذكر

حديث زوجه عنه والصورة وخصلة الشعر أيضاً .

وفى أحد الأيام هبت (إلا) مضطربة مهمومة فكتبت ورقة صغيرة الى زوجها تخبره أنها ذاهبة الى مكان بعيد قد يستغرق منها يوماً ، ثم انطلقت كالريح الى المقبرة . فلما جاء زوجها همست فى أذنه الخادمة أن سيدتها لم تكن فى حالة هادئة فى الأيام الأخيرة ، وأنها تخشى أن تكون قد انتحرت ، ولكن الزوج كان عارفاً بمكانها ، فأسرع تواً إلى المقبرة وهناك فى غسق الليل أخذ يتلمس طريقه عله يرى شبح زوجه ، وأخيراً لمح بصيصاً من النور يشع من بعيد ، فسار اليه وسط أكوام من الصخور والرجام فرأى زوجه حانية فوق القبر فقال :

ماهذا ؟ أتتركين أطفالك وتأتين هذا الطيش ؟ إنى لا أغار من هذا التمس فقد أنهى الموت ما بينى وبينه . ثم أمسك بذراعها وخرج بها من المقبرة حيث أخذ أول قطار دون أن تنطق الزوجة ببنت شفة

مضت على هذه الحادثة بضعة شهور ولم يجرؤ أحد أن يكلم الآخر

أما إلا فقد كانت علتها تزداد سوءاً بعد سوء حتى جاء يوم المخاض فقالت :

— إنى لا أعتقد أنى سأنجو هذه المرة

— فقال زوجها : أوه . ما هذا العبث ، لماذا لا تكون هذه المرة كسابقاتها ؟ فقالت :

— إنى أشعر أنى سأموت ، وسأترك فراغاً فى قلوب أبنائى . فقال :

— وأنا ؟ فقالت :

— إنك ستجد من يخلفنى . فقال :

— ألا تزالين تفكرين فى صديقك الشاعر ؟ فلم تجبه

ولم يمض على هذا الحديث ستة أسابيع حتى كانت (إلا) ملقاة فى فراشها لا تستطيع حراكا . وقد ذبل جسمها وجفت ينابيع الحياة فيها . وفى الساعة الأخيرة قالت : « وليم . إنى أريد أن أعترف لك بكل شىء . إنك تعرف تاريخ زيارتنا لسولنتس ، لا أستطيع أن أخبرك كيف نسيتك ، ولكنى كنت فى حالة سيئة ، لقد ظننتك دونى كفاءة وعقلاً بينما كان فوق قوة وذكاء . فأردت أن أبحث عن شخص يفهمنى ...

ولكنها لم تستطع أن تزيد حرفاً على هذا فانتفضت انتفاضة سريعة كانت القاضية

لم يكن الزوج كغيره من الأزواج سريع الغيرة كثير الشك فلم يحاول قط أن يدفعها إلى الاعتراف بعلاقتها برجل مات

وفى نهاية العام الثانى بعد هذه الحادثة بينما كان مستر مارشل يبحث عن أوراق زوجه ليحرقها قبل أن يقترن بزوجه الثانية رأى خصلة الشعر ، وصورة الشاعر ، وخطاب صاحبة المنزل ، وقد كتب عليه التاريخ بخط زوجته . فنهض مسرعاً وأحضر ابنه الصغير الذى كان السبب فى وفاة أمه ووضعه على ركبتيه ، وأمسك بخصلة الشعر وأخذ يقارنها بشعر الطفل ، ثم وضع الصورة على المنضدة وأخذ يفحصها ويقارن بينها وبين قسمات وجه الطفل ، وكأن الطبيعة الماكرة قد شاءت أن تجعل الشبه قوياً . فصاح :

تعساً لى . لقد خانتنى فى هذا الطفل . دعنى أرى التاريخ : الأسبوع الأول من أغسطس ... الثالث من مايو ... نعم ... نعم ... وأخيراً صاح : اذهب أيها الحيوان إنك لا تنتسب إلىّ !

نظمى خليل

# يوميات نائب في الأرياف

للأستاذ توفيق الحكيم

( تابع )

١٤ أكتوبر ...

تركت المأمور يذهب إلى شأنه . وعدت إلى مكتبي بدار النيابة . وعلم المساعد بعودتي فحضر وهو كالمشتاق إلى رؤيتي . ولكنه عاتب على إغفالي إياه في واقعة الليل . فتنبهت إلى أني حقيقة نسيته كل النسيان . إن اهتمامي باصطحاب المأمور تلك الليلة قد ألهاني ولا شك عن كل شيء آخر . ومع ذلك فهي حادثة تافهة لم يستفد منها غير بطن حضرة المأمور . ولم يقع ضررها إلا على جيب حضرة العمدة . آه لهؤلاء العمد ! اشد ما أرثي لحالهم !

وظهر « فراش » المحكمة الحاج خميس . فطلبت إليه كوبا من الشاي الخفيف . والتفت إلى مساعدي فأقبل على يحدثني كمن يتحدث لمجرد الحديث ، وكأني به جوعان كلام . إن الوحدة قد كادت تقتله أثناء غيبتي عنه . لقد سئم الريف . إنه لا يجد هنا قهوة واحدة يليق أن يدخلها مثله . اللهم إلا دكان ذلك البدال الرومي « طناش » ، وضعت أمامه مائدتان من الخشب وكرسيان من القش . وقد أطلق عليه الأهالي اسم « الخمارة » . وحتى هذا الرومي قد ارتدى جلباباً كجلباب الفلاحين فلم يعد شيء ينم على

أنه « افرنجي » غير لون العينين والشعر . أين يتنزه ؟ وأين ينفق وقته ؟ هذا الشاب الذي جاء من العاصمة منذ أيام حيث الأنوار والملاهي والضجيج ! إنه الآن لا يكاد يرى غير مبان قليلة أكثرها متهدم . وغير هذه « الجحور » المسقفة بحطب القطن والذرة يأوي إليها الفلاحون . إنها في لونها الأغبر الأسمر لون الطين والسماد وفضلات البهائم ، وفي تكدسها وتجمعها « كفوراً » و « عزباً » مبعثرة على بسيط المزارع ، لكأنها هي نفسها قطعان من الماشية مرسلة في الغيطان . هذه القطعان من البيوت التي تعيش في بطونها ديدان من الفلاحين المساكين هي كل ماتقع العين عليه في هذه البقاع . ويزيد في كربه هذا السكون الذي يهبط على البلدة منذ الغروب . فلا يسمع بعدئذ غير خوار الجاموس ونبح الكلاب ونهيق الحمير ونحيب السواقي والشواديف والكباسات ، وأصوات بعض الأعيرة النارية يطلقها في جوف الليل الخفراء الخصوصيون

او النظاميون أحياناً إرهاباً للغير أو تشجيعاً لأنفسهم . إن مساعدى يريد دواء لهـذا الضيق . وهل من دواء للريف غير الزواج أو السير المموج أو المطالعة وتحرير المذكرات كما أفعل أنا كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً ؟ وفكر صاحبى فى الاختلاف إلى النادى . إنه لا يعلم شيئاً عن نادى هذا المركز . إنه اسم يطلق على حجرة فى منزل عتيق يصعد إليها بسلم من خشب . وهى تضاء بمصباح غازى أى « كلوب » وهذا « الكلوب » هو وحده الشيء الجدير بالاحترام فى الحجرة . أما أهل النادى فهم بالطبع رجال الادارة وطبيب المركز وبعض الأعيان والموظفين وصاحب الاجزاخانة . ولا يشغل هؤلاء فى ذلك المكان غير لعب الورق و « الطاولة » واغتياب الناس . فهل يليق بمثل النائب العام فى هذا المركز أن يندس فى هـذه الزمرة ! لقد قلت لمساعدى أنى « شخصياً » أفضل أن يكون عضو النيابة بعيداً عن كل هـذا إذا كان يريد أن يبجله الجميع . وأنا لن أنسى ذلك اليوم الذى دعانى فيه رجال الادارة إلى حفلة عشاء فى ذلك النادى مع القاضى المقيم تكريماً لزميل لهم منقول . ولم أستطع الاعتذار فذهبت . وإذا زجاجات الوسكى على المائدة بجوار الطعام . وقد ملأوا كأسى وكأس القاضى . ولم يفطن القاضى لنفسه فشرب وأكثر ، وجعل يثرثر ويضحك حيث لا موضع للكلام والضحك . وعندئذ مال علىّ المأمور وقد سكر هو أيضاً وألقى فى أذنى ضاحكا : « البك القاضى فقد وقاره ! » فلم أرد أن أسمع أكثر من ذلك . فانسللت منصرفا إلى بيتى فى هدوء دون أن يشعر بى هؤلاء المتخبطون فى كؤوسهم . منـذ ذلك اليوم وأنا لا أضع قدماً فى هذا النادى . واقتنع مساعدى بكلامى . وأردت أن أزيده بياناً ليزداد حرصاً ، ولكن الحاج خميس دخل حاملاً كوبا لم يكد يقع نظرى عليه حتى صحت :

— ما تسقينى أحسن حبر « كوبيه » وتخلص !

— صلّ على النبى يا سيدنا البك ! أنا بقى لى عشرين سـنة فراش محكمة . وورد علىّ أصناف الأهالى والموظفين . تصدق بالله ! ما ينفع فى المحاكم إلا شاى مرّ طعم « الفورنيه » !

فترددت قليلا ثم لم أجد مناصاً وقلت :

— شاى المحاكم وشغل المحاكم كله مُرّ والسـلام ، هات . ! . ووضع الرجل الكوب الزجاجى أمامى وانصرف . وما كدت أرشف رشفة حتى فتح الباب ودخل عبد المقصود أفندى رئيس القلم الجنائى بروحه الذى لا أستخف له ظلا وقال :

— عندنا من نوع التلبس أربع قضايا .

— هات !

فذهب وأرسل إلىّ العسكرى القادم « بالمحاضر » والمقبوض عليهم . وأخذنا نطالع الأوراق قبل أن نستدعى أمامنا المتهمين . وجعلت من نصيبى ثلاث قضايا . واستصغرت ملفاً ألقيت عليه نظرة سريعة وأعطيته مساعدى وأنا أقول له : « سرقة كوز ذرة . لن نعثر لك على أسهل من مثل هـذه السرقة . سل هذا المخلوق فستجده معترفا فى أمان الله ! » . وبدا الاضطراب قليلا على المساعد : فهذه أول مرة يستجوب فيها متهماً . وتناول من يدى المحضر . وجعل يقرؤه كلمة كلمة .. ويعيد قراءة هذه « القسائم » التى لم تزد على الخمس . وفرغت أنا من أمر نصيبى البالغ أضعاف ما عنده وهو ما زال منهمكا فى إعداد ملخصات وافية ، وملخصات الملخصات ، وأسئلة معدة إعداداً كأنها قنابل

ستلتقى فى صدر سارق « كوز الذرة » . فكتمت ضحكى . أنا أيضاً فى مستهل حياتى القضائية كنت أفعل فعله . ولقد قسا علىّ القدر أشد مما قسا على هذا الشاب فنكبنى بقضية تزوير معقدة كانت هى أول عهدى بالتحقيق . ولست أنسى اضطرابى وقتئذ وقد مثل أمامى المتهم المزور بطول باعه وذلاقة لسانه واعتياده المثول أمام القضاة . فذهبت الأسئلة المجهزة من رأسى ، ولم أدر ما أقول . وانتظر الرجل واقفاً فى هدوء أن أفتح فمى أو يفتح الله علىّ بسؤال ، وتصبب منى شبه عرق وأنا أرى المتهم أحسن منى حالاً وأربط جأشاً وأقوى امتلاكا لأمره . وخيل إلىّ أنه يسخر منى فى دخيلة نفسه . وكان كاتب التحقيق رجلاً قديماً ذا مران طويل صادف فى حياته ولاشك عشرات من المساعدين الجدد أمثالى . عرف مابى فأسرع يعاوننى ويلقننى ما ينبغى أن أبدأ به من أسئلة وأنا أتقبل منه المعاونة بأنفة وكبرياء دون أن أظهر له حاجتى الى تدخله . وأمثال هذا السكرتير الهرم من ذوى الحق المغموط والفضل المجهول كثيرون ؛ وقد سمعت أحدهم يقول لى مشيراً إلى بعض من كبار رجال القضاء : « علمناهم الشغل ومشوا وارتفعوا وبقوا قضاة ومستشارين ، والواحد منا واقف فى مطرحه لا يكبر ولا يصغر « زى جحش السبخ » ! تذكرت كل هذا وأنا أنظر الى وجه مساعدى . ورأيت أن أتمهد خطاه الأولى بنفسى ، فطلبت إليه أن ينحى جانبا هذه الملخصات ، وأن يضغط بأصبعه على الجرس . ففعل وظهر الحاجب بالباب ؛ فأمرته بإحضار المتهم الأول ، فدخل فلاح كهل قد برز من صدره شعر أزرق أشيب كأنه شعر ضبع مسن ؛ وقلت للمساعد أن يوجه إليه مايحضره من أسئلة ولا يخاف ، وأنا أعينه إذا توقف ، فاحمر وجه الشاب وتردد ، ثم تجلد ونظر الى المتهم وسأله :

— أنت سرقت كوز الذرة ؟

فأجاب الشيخ لفوره من جوف مقروح :

— من جوعى .

فنظر المساعد الىّ وقال فى لهجة الانتصار :

« اعترف المتهم بالسرقة » !

فقال الرجل فى بساطة :

— ومن قال إنى ناكر ؛ أنا صحيح من جوعى نزلت فى غيط من الغيطان سحبت لى كوز …

ووقف القلم فى يد المساعد ، ولم يعرف ماذا يسأل بعد ذلك . والتفت إلى يستنجدنى ، فنظرت الى الرجل سائلاً :

— سين ، يا رجل لماذا لا تشتغل ؟

— جيم ، ياحضرة البك هات لى الشغل وعيب علىّ إن كنت أتأخر . لكن الفقير منا يوم يلقى ، وعشرة ما يلقى غير الجوع

— أنت فى نظر القانون متهم بالسرقة

— القانون يا جناب البك على عيننا ورأسنا . لكن يعنى القانون عنده نظر ويعرف أنى لحم ودم ومطلوب لى آكل

— لك ضامن يضمنك ؟

— أنا واحد على باب الله

— تدفع كفالة ؟

— كنت أكلت بها

— إذا دفعت يا رجل خمسين قرشاً ضمان مالى يفرج عنك فورا

— خمسين قرشا : وحياة راسك أنا ما وقعت عينى على صنف النقدية من مدة شهرين . التعريفة نسيت شكله ، ما أعرف إن كان لحد الساعة ( مخروم ) من وسطه والا سدّوه

فنظرت الى مساعدى وأمليت عليه نص القرار

— « يحبس المتهم احتياطياً أربعة أيام ويجدد له ويعمل له فيش وتشبيه » . اسحبه يا عسكرى !

فقبل الرجل كفه وجهاً وظهراً حامداً ربه :

— وماله . الحبس كويس . ناقى فيه على الأقل لقمة مضمونة . السلام عليكم !

وخرج الرجل يدب وقد وضع فى معصميه القيد . واطمأن مساعدى واستراح باله بذهاب متهمه ، وطلبت القضية التالية . فظهر العسكرى ومعه آخر وفتحا باب مكتبى على مصراعيه ، وجذبا الى داخل الحجرة أكثر من ثلاثين رجلا وامرأة وولداً قد شدوا فى حبال من الليف ، إذ لم يجدوا فى المركز لكل هذا العدد قيودا حديدية . فما تمالكت أن صحت لمنظرهم :

— الله أكبر ! مواشى طالعة سوق السبت ؟ حل الحبال يا عسكرى !

فقال الحارس وهو يحل بأسنانه عقدة حبل :

— فتشنا يا سعادة البك بيوتهم وجدنا فيها الممنوعات . وباق غيرهم من أهل الناحية تحت التفتيش والقبض بمعرفة حضرة الملاحظ وأورطة الهجانة !

فأدرت بصرى فى هؤلاء الآدميين . واستمدت فى مخيلتى ما قرأته الساعة عن تهمتهم فى الأوراق التى أمامى وقلت :

— ممنوعات !

فاستدرك الحارس :

— الملبوسات يا فندم

نعم . إن ما قرأت الساعة هو أن سيارة كبيرة كانت تحمل أكياساً ضخمة مملوءة بمختلف الملابس القطنية والصوفية من معاطف وسترة وسراويل ، وكذلك أنواع من الأحذية الجلدية لحساب متجر فى القاهرة من المتاجر الشهيرة ، وكانت تجتاز ليلاً بكل هذا جسر الترعة المحاذية لدائر الناحية ، فسقط منها فى الماء كيس كبير مفعم بألوان الملابس ، ولبث الكيس فى أعماق الترعة حتى انخفض منسوبها وانحسر الماء عن البضاعة ، فهرعت تلك البلدة العارية الى ذلك الكنز الذى لا يشابه كل الكنوز . وتسابقت الأيدى الى الكيس الراقد فى الطين تجذب من بطنه ما تصل اليه ، فان كان سروالا من الصوف لبس فى الحال فوق الجلباب الأزرق وإن كان معطفا من الجوخ دخل فيه الرجل ( بحرامه ) . وإن كان حذاء لامما وضع فى الأقدام بغير جوارب . ومضت البلدة تجرى فى الطرقات فرحة مهللة : « الكساوى فى البحر ، الكساوى فى البحر ... » ، الى أن رآهم رجال الحفظ واستكثروا عليهم النعمة واستغربوا أمرها واستكشفوا سرها ...

ورأيت أن أسألهم أول الأمر جملة ، علنى أظفر منهم باعتراف ييسر علىّ مهمتى . فألقيت عليهم نظرة شاملة :

— سرقتم الملابس ؟

فأجابنى من بينهم صوت عميق رزين :

— أبدا والله ما سرقنا ولا نعرف السرقة ؛ البحر رمى علينا الكيس ، وكل واحد منا طال نصيبه

فقلت للرجل من فورى :

— نصيبه ؟ ! هو الكيس ملك البحر والا له أصحاب خواجات ؟

فأجاب الرجل فى صوته العميق الهادىء :

— راح من بالنا أن له أصحاب ياحضرة البك

ربنا يعلى مراتبك ؟ إرأف بحال الفلاحين المساكين !

— المسألة مسألة قانون . والقانون صريح : إن كل من وجد شيئاً مملوكا للغير وحفظه بنية امتلاكه يعامل معاملة السارق . فهمتم ؟

— فهمنا يا حضرة البك . لكن ... بقى ... الكساوى كانت قدام نظرنا ورماها البحر علينا والواحد منا من غير مؤاخذة عريان ...

— أنت يا رجل فاكر الدنيا فوضى ، وإلا فيه قانون وحكومة ! ويظهر أن الرجل لم يستطع صبراً فقال :

— بقى هى الحكومة لا منها ولا كفاية شرها ؟ ! لا كستنا ولا تركتنا نتكسى !

— أنا مضطر أن أحبسكم

— يا جناب البك . أنتم فتشتم دورنا وسحبتم الكساوى منا ، والعيال الفرحانة عادت تبكى ، ورجعنا لأصلنا لا لنا ولا علينا . يبقى الحبس له لزوم ؟ !

— أفرج عنكم بضمان مالى

— مالى ؟ ! الفلاحين عرايا يا حضرة النايب !

— تفضلوا من غير مطرود ! دماغى وجعنى والمناقشة مع أمثالكم ضياع وقت . القانون صريح وأنا مقيد بنصوص أشد من الحبال الموضوعة فى أيديكم . المسألة عندى قبل كل شىء مسألة قانون . « يحبس المتهمون كلهم احتياطيا أربعة أيام ويجدد لهم ويعمل لهم فيش وتشبيه » اسحبهم يا عسكرى !

فخرجوا جميعاً فى صف طويل وفى ذيلهم رجل يقول هامساً :

— يحبسونا لأن ربنا كسانا !

وهدأ المكان . ولكن رائحة كريهة انتشرت فى الحجرة . فناديت الحاجب وأمرته بفتح النوافذ. ففعل وهو يلعن بصوت خافت هذا الجاموس الأبيض الذى لا ينبغى إدخاله حجرات الحكومة . وحانت منى التفاتة إلى مساعدى فوجدته مطرقاً مفكراً . فداخلنى حب استطلاع أن أعرف ما بنفسه الآن . أتراه قد تأثر لشىء . أترى دقة الحس ورقة الشعور التى جاء بهما كما جئنا كلنا فى مبدأ عملنا الحكومى بالريف ما زالت حية أم أنهما فى طريق الموت ... ولكن طرقة عصا شديدة ضربت الباب عرفت فيها ضربة المأمور . ودخل صاحبنا يلهث ويصيح :

— البنت ريم ...

— ما لها ؟ !

قلتها رغماً عنى فى لهفة . فاستراح المأمور على كرسى وأنا أنتظر الكلام من فمه بصبر نافد . غير أنه نظر إلى الحاجب بالباب :

— إسقنى وحياة عينيك !

وأخرج منديله الحرير الصناعى من كمه ومسح وجهه ورأسه وأنا على أحر من الجمر . وأخيراً التفت إلى وقال :

— اختفت !

فنظرت إليه ملياً :

— تتكلم جد !

— هربت مع الشيخ كاب !

— الشيخ عصفور ؟ !

— نهاره أسود !

— والعمل ؟

— أمرت فرقة الهجانة أن تقوم فى الحال فتقتفى الأثر فى جميع الطرق الزراعية ...

وجلسنا فى صمت . وقد شرد فكر كل منا ...

توفيق الحكيم

من القصص الحديث

# رجل بلا روح

للكاتب الانجليزى كانتين رينولد

بقلم الأديب أحمد فتحى مرسى

كانت سونيا الحسناء ، وبيتر ستوبهلم ، وذلك الذى يدعونه نيكولى ، تتشبح أمامى من لحظة للحظة ، وتتمثل فى خاطرى من حين لآخر وكنت إخال أنى أسمعهم يتناقلون الحديث ، ويتساجلون القول ، وأنا جالس أرهف الأذن لحديث ألفون جنتر الذى كان يروى قصتهم على كثب منى

ولقد عدت إلى مثل ظهر ذلك اليوم الذى نال فيه بيتر ستوبهلم جائزة نوبل للسلم ، وتناقلت اسمه الأفواه ، ولهجت بذكره الألسن ، وكان الرأى السائد فى العالم أنه منجى الانسانية ، ومنقذ العالم من ويلات الحروب

ومنذ شهور قلائل أعلن ستوبهلم على ملأ من العالم أنه وفق إلى اكتشاف علمى جليل ، يحمى العالم من الغاز السام على اختلاف أنواعه ، وتعدد حالاته ؛ ولم يخص بهذا الاكتشاف الجليل دولة من العالم تتدرع به ضد غيرها ، وتتحرز به من أعدائها ، بل وهبه للعالم أجمع . وقد أذيع اكتشافه فى الآفاق على موجات الأثير من مركز الاذاعة فى لندن بخمسة عشر لسانا . وكان الحديث الدائر على الأفواه أن ستوبهلم أكبر محب للانسانية وأعظم معضد للسلام على الرغم من مهاجمة صحف النازى له فى ألمانيا ، فقد كانت ترى أنه كان من الواجب أن يذكر فضل وطنه عليه ، ويخصه بهذا الاكتشاف الجليل .

وقد دعانى ستوبهلم ظهر ذلك اليوم فى جملة من الأصدقاء والعلماء فلبيت دعوته وأسرعت إليه

وكان بيتر ستوبهلم مديد القامة ، أشيب الرأس — على الرغم من أنه لم يوغل بعد فى الشيخوخة — أزرق العينين ، صافى المقلتين ، يبدو فيهما أثر الحزن والتفكير العميق ... قال أحد المدعوين :

— إنه يبدو عجيباً حقاً أن ستوبهلم الذى افتن فى اختراع المهلكات ، وتمادى فى ابتداع عُدَدَ الموت إبان الحرب ، هو عينه ستوبهلم الذى ينال اليوم جائزة نوبل كأول خادم للسلام العام . فاطرق ستوبهلم لحظة ثم قال :

— هذا عجيب حقاً ... ولكن لا تنس

ياصديق أن « الديناميت » و « البارود » وغيرها من المفرقعات كانت من إنتاج قريحة الفريد نوبل نفســه الذى يتقدم اليوم بجائزته إلى محبى السلام العام ... فقال آخر

— وعلى ذكر هذا أقول : لماذا اختار الدكتور ستوتهلم لفظ « ســونيافين » اسماً لاكتشافه على ما فيــه من غرابة ؟ .. ثم ستوتهلم بيده على جبهته ثم قال :

— حقاً إنه اسم غريب ولــكنه بقية ذكرى فى نفسى ، وحلم سعيد كان مصيره الزوال ، كباقى الأحلام .... !

— حلم ! هذا عجيب ! أيعنى الدكتور أن هذا الاسم أضغاث أحلام فى ليلة ما ؟

— ليلة ما ! كلا ياصديقى فقد استغرق حلمى عامين ... والآن يا صاحبى دع هذا جانباً فانه يثير فى نفسى ذكريات أليمة

وانتقل الحديث من هذا الاسم الغريب ، ومن ذلك الحلم الذى استغرق عامين إلى نواح متعددة ، وشجون مختلفة ، حتى انفرط عقد الحفل ومضى كل لسبيله

عدت إلى منزلى ، فوجدت البارون الفون جنتنر فى انتظارى ، ولما علم أنى كنت فى ضيافة بيتر ســتوتهلم .... سألنى :

— وكيف كان يبدو ستوتهلم ؟

فضحكت وقلت :

— على خير حال ياصــديقى ... اللهم إلا عند ما سأله أحــدهم عن سبب اختياره لفظ سونيافين اسماً لاكتشافه الجديد ... فقال فى دهشة وعجب :

— يا إلهى ! أسألوه عن ذلك ؟ ... كان ينبغى ألا يخوضوا به إلى تلك الذكرى المؤلمة ... إننى على الرغم من كونى أقرب أصــدقائه لا أجرؤ أن أجرى أمامه مثل هذا الحديث

— حقاً إنك أقرب أصدقائه ... وأظنك تعلم عن هذا الرجل ما خفى عنا ؛ فما الذى دعاه بعد أن أورد جيوش العالم موارد التهلكة ، بما ابتدعه من مهلكات ، أن يجعلها عليهم اليوم برداً وسلاماً ؟ وما الذى حداه إلى اختيار هذا الاسم العجيب الذى حير الأذهان ؟

— حسن ياصديقى ... سأخبرك بذلك ، وإنها لقصة عجيبة أنت أول من يحظى بإسماعها ... أجل سأحدثك الآن عن ستوتهلم ، وعن سونيا ، وعن ذلك الرجــل الخالى من الروح الذى يدعونه نيكولى .

فقلت فى دهشة :

— الخالى من الروح ؟ ولــكن لــكل الرجال أرواح يافون جنتنر

— مهلاً مهلاً ... لا تتسرع ياصديقى

واعتدل البارون فى جلسته ، ثم أخذ يسرد على قصته فقال :

عرفت الدكتور بيتر ستوتهلم لأول مرة خلال الحرب الأخيرة ، وكان كوكباً زاهراً فى عالم الاختراع ؛ وقد بدأ حياته بالاشتغال بالنظريات الرياضية ، ثم تعلق علم الطبيعة ، وشغف بالكيمياء فكانت خفاياها وأسرارها كــكتاب مفتوح يتملى منه آراءه ، ويستوحى أفكاره ، وبمرور الزمن وتعاقب الأيام تمكنت بيننا أواصر الصداقة ، وتوثقت عرى المحبة ، وكثيراً ما كان يحدثنى عن مطامعه وآرائه وعن بحوثه الطويلة فى الجهــد والطاقة ، وكثيراً ما ردد على مسمعى قوله :

— إن حرب المستقبل لن تــكون قط حربا بين جيوش ، بل ستــكون الآلات عدتها ، والعلم عدتها .. فأجيب مداعبا

— إن أجاريك فى رأيك هذا ، حتى تخترع

لنا إنسانا يستطيع أن يفكر

— هذا ما أرجو تحقيقه يا فون جنتنر

— وماذا عساك تصنع بهذا الانسان إذا وفقك الله إلى أبراز ما فى مخيلتك ؟

— الحرب يا عزيزى دون شك ... إن العالم ما زال يعتمد على الانسان فى الحرب على الرغم مما يفقد من الجيوش ، ورغم ما فى الانسان من غرائز الخوف والهرب ... إنى آخذ أهبتى للحرب المقبلة وسأملأ بهذا الانسان وأمثاله ساحات الوغى ، وسأزودهم بأشعة الموت عوضاً عن القنابل والبنادق .

فقلت ضاحكا :

— إنك سفاك دماء يا بيتر .. أتبغى أن تكتسح العالم وتسحق جيوشه بما تسميه علما واختراعا ؟

— إنى أرى أن العالم لم يتقدم قيد شعرة ، ما دام الانسان يلعب دورا هاما فى الحروب ... وسأعمل من الآن على تحقيق مأربى فى ضوء تلك النتيجة التى وصل اليها اينشتين سنة ١٩٠٥ « إن المادة يمكن تحويلها الى طاقة ، وإن الطاقة يمكن تحويلها الى مادة » ، وأغلب الظن أن الشمس هى مصدر الطاقة والحركة ، ومبعث النشاط الانسانى ؛ وليس هذا عجيبا فالهنود يعبدونها من قديم ... ، وربما أدركوا أنها سر تلك الحياة . ومحور تفكيرى الآن الذى أدور حوله هو أن الشمس مبعث الحركة ، وأن أشعتها هى مصدر النشاط الانسانى

وربما انتهت الحرب قبل أن يوفق بيتر فى إبراز فكرته الى العالم ولكنه كان دائب البحث ، دائم العمل ، يصل ليله بنهاره فى دراسة أشعة الشمس . وليس بعسير أن يأتى العالم بأشعة الشمس لفحصها فى معمله ، فقد تمكن نيوتن من اكتشاف جهازه « السبكتروسكوب » الذى يمكن الانسان من دراسة الأشعة وفحصها فحصاً دقيقاً كما يفحص الطبيب مكروب الداء تحت منظاره

وسافر ستوتهلم فجأة الى باريس لمواصلة دراسته مع العالم الفرنسى « جورج رابيه لميتر » ثم عاد بعد سنتين وملء برديه الزهو بشيئين أولهما : الانسان الذى اخترعه ، وثانيهما : زوجته الحسناء الروسية سونيا ، قال :

— وستعجب بها يا فون جنتنر . لقد قابلتها فى باريس ... إنها إحدى نبيلات الروسيا اللواتى هاجرن إبان الثورة ، وضحك ثم قال :

— ولذلك ستراها الليلة ناقمة على الثورة والفلاحين ... وسترى أيضاً آلتى التى ستعجب بها كثيرا

وأصدقك القول أنى رأيت تلك الليلة ما عجبت منه كل العجب : رأيت ذلك الانسان الذى تحركه الأشعة بدل الكهرباء ، ورأيت سونيا ستوتهلم وكانت سمراء الوجه رشيقة القوام ، تجمع الى جمال وجهها رقة فى الحديث ، وظرفاً فى القول

وقد طرقنا فى الحديث شعابا شتى وشجونا عديدة إلى أن مال بنا الى الكلام عن الروسيا وثورتها فالتمعت عينا سونيا وقالت دون تريث ولا روية

— هؤلاء الفلاحون .. لعنة الله عليهم ... لقد هدموا فى أمسية ثائرة من الصروح المشيدة والبروج المردة ما بناه أسلافنا فى دهور طويلة .. لقد قتلوا أبى .. وما نجوت من براثنهم إلا بشق النفس ... ويمكنك أن تفهم الآن لماذا لا يأخذنى العجب والزهو بأننى روسية .. ولماذا ترانى دائما ناقمة ساخطة على هؤلاء الفلاحين .. لقد كانت لنا أراض واسعة ، وسهول مديدة ، وكنا نملك الألوف المؤلفة من هؤلاء الفلاحين ، فصفرت راحتنا ، وخلا وطابنا

وقد استرعى خاطرى قولها : « كنا نملك

الفلاحين » إذن فسونيا من هذا النوع الذى يملك الرجال ؛ ولا شك أنها تحس الآن من أعماقها أنها تملك بيتر ستونهلم ، فان يصبح بيتر ستونهلم من الآن ملكا للعلم كما كان من قبل

وحادت سونيا بمجرى الحديث عن الروسيا فقالت :

— لقد حدثنى بيتر عنك كثيراً يافون جنتز ، وأخبرنى أنك قلت له إنك لن توافقه فى آرائه حتى يخترع إنسانا يفكر .

— هذا حق ... إن كان بيتر قد صنع مثل هذا الانسان فستصبح الدنيا تحت قدميه ... فضحك بيتر قائلا :

— إننا لم ننته بعد يافون جنتز ... ولكن انهض بنا لنرى ما تم .

وكان المعمل فى الجناح الخلفى من المنزل ، فسرنا بصحبة بيتر فى ممر ضيق ، يبعث الرهبة فى النفس ، ويرسل القلق إلى القلب ، حتى بلغنا باباً أثقلته الحدائد ، وناء بما حمله من الرُتج ... فقلت ضاحكا :

— ما هذا ؟ ... أتخشى أن يسلبك اللصوص صاحبك يا بيتر

كلا ياصديقى ... بل أخشى أن يمل ضيافتنا فيهجرنا .

* * *

وعالج بيتر الباب حتى فتحه فولجنا الغرفة ، وكان الظلام يجلل أركانها ، ويغشى جنباتها ، فضغط بيتر أحد الأزرار الكهربائية ، فغمر الغرفة نور زاهٍ ساطع يعشى العيون ، ويبهر الأبصار ، ولكنه لم يثرْ من عجبى ، قدر ما أثار ذلك الجالس على المقعد فى وسط الغرفة . وما إن لمحه ناظرى ، حتى هب واقفاً فى ريث وتؤدة ، كما يقوم الانسان العادى ، ثم أحنى هامته الحديدية معلناً تحيته فى انداع وخشوع ، ثم امتدت يد بيتر إلى زر آخر ففاض فى الغرفة نور أزرق قاتم يقبض النفس فهامدت قوى ذلك الواقف أمامنا ، واسترخت مفاصله ، وجلس فى مقعده كما يجلس ابن السبعين وهو ينوء تحت أعباء السنين .

ومضيت أتفرس وجه ذلك الانسان ، وأنا مشتت النفس مشرد اللب إلى أن جذبنى بيتر من يدى قائلاً :

أرأيت كيف يحسن إنسانى تكاليف الحياة ونظام المجتمع ... إنه يتحرك بالأشعة كما رأيت ، وهذه الأشعة هى المؤثر الخارجى الذى يدفعه إلى التفكير كما تدفع الانسان مؤثراته الخارجية من جوع وخوف وفرح وغيرها ... ولقد أسميته « نيكولى » ولما رأيت فيه بعض مشابه من الفلاحين الروس ابتعت له هذه الملابس الروسية ... إنه الآن يفكر بعقل الفلاح الروسى ، على الرغم من أن تفكيره لم يزل فى مرحلة البداءة » ، وأطرق بيتر قليلاً ثم استطرد فى شرحه :

— ولقد زودته بمركز عصبى يقابل المخ فى

الانسان العادى ، فان مخ الانسان يقوم فى الجسم بمثابة مركز رئيسى تعاونه أعصاب مصدرة وأعصاب موردة ، فمثلاً إذا قرّبت يدك من مدفأة ساخنة حملت الأعصاب الموردة إلى المخ : أن ارفع يدك ، فيصدر المخ أمره عن طريق الأعصاب المصدرة إلى اليد برفعها ، فترفع يدك دون أن تحس بهذه الدورة العصبية .

فالشعاع الأبيض الساطع يؤثر فى مركز نيكولى العصبى فيجعله يقوم ويحيى ، والشعاع الأزرق يؤثر فيه تأثيراً مخالفاً فيجعله ينحنى ويجلس .. وكما أن هناك مواد تجذب الحديد ، فهناك أيضاً مواد تؤثر فى الأشعة وتجذبها ، ومنها صنعت مركز نيكولى العصبى . واستطرد بيتر قائلاً :

وسيكون نيكولى وأمثاله من اللايين عمدة الحرب المقبلة ، فلن يقف فى طريقهم إنسان ، ولن يفت فى عضدهم قتال ، أو يفل من غربهم سيف .

— وتسابقت إلى خاطرى صور عدة ، وتزاحمت فى مخيلتى مشاهد كثيرة عن ذلك الرجل وأمثاله ، وهم يدخلون إلى المدن ، وقد سقطت تحت ربقتهم ، ووقعت فى قبضتهم ، فأخذوا يحطمون ما صادف طريقهم من عوائق ، ويصرعون ما اعترض سبيلهم من جيوش ... فقلت :

— هذا حسن ، ولكن ماذا جنت عليك تلك الأرواح البريئة التى تزهقها بما كشفه علمك ، وأنتجته قريحتك ... فرفع بيتر كتفيه قائلا :

— وما قيمة الأرواح يا صديقى إذا هى وقفت فى سبيل العلم ؟

* * *

ومضت الأيام تتبع الأيام ، والشهور تترسم خطى الشهور ، إلى أن كان يوم قابلنى فيه بيتر مشرق الوجه ، منبسط الأسارير ، ودعانى لمشاهدة ما جد من أمر نيكولى ، وكانت تملأ عينيه المخيلة والمُعجَبُ ، ويتملكه زهو الأبوّة المنجبة بالولد الذكىّ النجيب .

وكانت شمس الطفل لا تزال تلقى على الكون وميضاً من شعاعها عندما ولجنا غرفة نيكولى ففتح بيتر النافذة قائلا :

— لو اعتمدنا فقط على أشعة الشمس لنبعث الحياة فى أوصال « نيكولى » لرأيناه يموت فى الليل ويبعث فى النهار ، ولكنى رأيت استدامة لنشاطه ، وبقياً على حياته ، أن ألجأ إلى توليد أشعة الشمس فى المعمل ... ولكن انظر ... » وأشار الى نيكولى

وكانت أشعة الشفق الحمراء قد بدأت تغمر الغرفة ، وتفيض فى أرجائها ، فرأينا نيكولى يقوم فى تؤدة حتى يستقيم ، ثم يرفع ذراعه اليمنى حتى توازى كتفه ، ثم يستدير على عقبيه حتى يواجه الشمس الغاربة . فقال بيتر هامساً :

— « أرأيت ... » ، ثم استطرد قائلا ... « الآن عند ما تهبط الشمس الغاربة عن الأفق ... وتغيب على مدى ثلاثة وتسعين مليونا من الأميال ، وينقطع شعاعها عن نيكولى تهمد حياته وتخمد حركته .

وكان الليل قد أخذ ينشر سجوفه القاتمة ويرخى مسوحه المظلمة على الكون ، فأنزل نيكولى ذراعه ، وعاد الى مقعده ، ثم جلس فى صمت وحزن ... فقال بيتر :

— إننى لم أحاول بعدُ تعليل هذه الظاهرة العجيبة ... لماذا يرفع « نيكولى » ذراعه ويواجه الشمس الغاربة فى خشوع وخضوع ... » فالتمعت عينا سونيا . ثم قالت فى صوت مضطرب :

— هذه عادة الفلاحين فى روسيا ، فعند ما ترسل الشمس الغاربة نظرتها الأخيرة الى الكون ، يولون وجوههم شطرها رافعين الأذرعة ،

مبتهلين الى الله ... ونيكولى فلاح روسى ؛ فلا غرو أن يقفو أثر قومه ...

وكان وجهها شاحباً ، وعيناها ذابلتين يبدو فيهما ما يسيطر على نفسها من الرهبة ، وما يرمض قلبها من الألم » ورأى بيتر ذلك فقال مرفهاً عنها :

— سرّى عنك يا عزيزتى ... إنك لست روسية بعد ... وأما هذا الانسان فما هو إلا آلة صماء خرساء ... فقالت متوسلة :

— ألا تنزع عنه هذه الثياب يا بيتر ... إنه يبدو فيها كالفلاحين اللذين كنا نملكهم يوماً ما .

فضحك بيتر ولكنه لم يخلع عنه الثياب . وأظن أن تلك الأمسية كانت بدء كراهية سونيا لنيكولى وسخطها عليه ... لقد كانت تعتقد أنها تملك بيتر وحدها دون شريك ، ولكنها اليوم ترى لها شريكا أشدّ ، وخصما ألدّ ، يفرقُ بينهما ، ويحول دونهما .

* * *

ومضت بضعة أسابيع لم أر فى خلالها بيتر الى أن قصدت ذات يوم لزيارته ، فوجدت سونيا وحيدة فى المنزل ، وكانت تبدو كالزهرة الذابلة ، فلا نضرة فى القسمات ، ولا وضاءة فى الوجه ، ولا بريق فى العينين ، وجلسنا نتحدث عن العلم وعن بيتر الى أن قالت :

— وماذا جد من أمر نيكولى ؟ أتراه فى طريق التقدم ؟

— نيكولى ؟ ... لا تجر أمامى ذكر ذلك الاسم ... لقد أصبحت أبغضه من كل قلبى ... ألا تعلم أن بيتر يقضى معه آناء الليل وأطراف النهار دون أن يخرج من غرفته و ... فقاطعتها قائلا :

— ولكنه قريباً ما يتمه وينال به المجد والشهرة .

فقالت مرددة :

المجد والشهرة ؟ ... تلك أحلام يا صديقى ... لن ينال المجد والشهرة سوى نيكولى ... أما نحن فسنصبح فى زوايا النسيان بعد أن أنفقنا فى خلقه ميعة صبانا ، وأخلقنا جدّة شبابنا ، حتى أصبحنا نخطو إلى الهزال والسقام ، كما يخطو إلى الكمال والتمام »

وأطرقت قليلاً ثم رفعت رأسها كمن خطر له خاطر ثم قالت فى سرعة :

— فون جنتنر ... إن نيكولى أسير فى غرفته ، وأرى أنه لا بد محطم ذلك الباب ومحطمنا أيضاً إذا تقدم به العلم قليلاً :

— ولكن كيف يحطم سادته وأولياء نعمته ؟

كما حطم الفلاحون الروس سادتهم وأولياء نعمتهم

وهنا أدركت أن سونيا ورثت عن أسلافها من النبلاء ذلك الكره المتأصل فى نفوسهم للفلاحين ، وأنه قد دخل فى روعها أن نيكولى فلاح روسى ... فنهضت قائلا :

— سونيا ... هيا بنا إلى غرفة نيكولى ... سأريك أنه ليس إلا آلة بسيطة يمكن الطفل أن يحركها ... هيا ...

— اقنعنى بذلك يا ڤون جنتنر ... اجعلنى أعتقد ذلك ... اجعلنى أعتقد أن نيكولى ليس إنساناً

وأخذت بيدها الى المعمل ، وكان نيكولى جالساً كعادته فى ملابسه الروسية ، وكان يبدو عليه أنه أقرب الى الانسانية من ذى قبل ، ونظرت فاذا سونيا ترمقه من خوف . فقلت لها وأنا أشير إليه :

— بضع مئات من الأرطال الحديدية : هذا كل ما فى الآلة

— هذا كل ما فى الآلة : كلا ياسيدى ...

وأسرعت إلى النافذة ففتحتها ، وكانت الشمس قد آذنت بالغروب فغاضت فى الغرفة أشعة الشفق فقام نيكولى كعادته ، مولياً وجهه شطر النافذة رافعاً ذراعه اليمنى ... فقلت :

— هذا عمل آلىّ محض ... ! ثم استطردت ضاحكاً :

— سونيا أتخشين رجلاً خالياً من الروح ... خالياً من الشعور

وارتفع فى تلك اللحظة صوت من أقصى الغرفة متزن الجرس متسق النبرات ، وقد عرفت فيه صوت بيتر يقول :

— ومن هو ذلك الرجل الخالى من الروح ؟

فأسرعت إليه قائلاً :

— بيتر ... إن سونيا لا يمكنها أن تصبر أكثر من ذلك ... إنها تعتقد أن نيكولى يقف حجر عثرة بينكما ، أخبرها أنه ليس إلا لعبة يتسلى بها عقلك ، وآلة تتلهى بها يداك ... فمر بيتر بيده على جبهته ثم تقدم لسونيا قائلاً :

— سونيا ... إننى لست لأحد سواك ، وما صنعت تلك الآلة الا لأخلد اسمك بجوار اسمى ، والا لأجعلك مزهوة بأعمالى ؛ وإن لفظة منك لتجعلنى أحطمه تحطيما »

وأشرق وجه سونيا ، وبان الرضا فى عينيها ، وبدت كمن ألقى عن نفسه عبئاً ثقيلاً آده وبهره ... وتحولت فجأة إلى نيكولى حتى لمست صدره ، وكان لا يزال رافعاً ذراعه ، فصاحت به :

— ما الذى يجعلنى أخافك أيها الانسان الآلى ؟ إنك فلاح ونحن النبلاء لا نخشى الفلاحين . إنك خادم لنا ولعبة فى كفنا .... إننى لا أخافك ولا أرهبك فأنت عاجز عن أن تمسّنى بسوء ...

وفى طرفة عين ، ودون إنذار أو تحذير سقطت تلك الذراع الحديدية الثقيلة على رأس سونيا ، كما يسقط الحجر على بيضة الطائر فيهشمها تهشيما

* * *

ووقف كل منا فى مكانه مشدوهاً من هول الحادث ، ومضت برهة قبل أن نجمع أشتات عقلينا وعلق بصرى نيكولى ، فرأيته يجلس فى هدأة وسكينة... وصمد فى رأسى ذلك السؤال فجأة . « لماذا أسقط نيكولى ذراعه فى تلك اللحظة ؟ » وفجأة تذكرت أن الشمس قد هبطت عن الأفق ، وغابت على مدى ثلاثة وتسعين مليونا من الأميال ، وأن الظلام عاد يرخى سدوله وينشر مطارفه السود على الآفاق

ونظرت الى بيتر وكان وجهه الشاحب كوجوه الموتى ، جامداً لا يتحرك ، شاخصاً لا يطرف . واستدار على عقبيه فجأة دون أن ينبس ببنت شفة ، وخرج من الغرفة ثم عاد بعد قليل وبين يديه قضيب ثقيل انهال به على نيكولى فحطم رأسه ، وهشم أوصاله حتى ملأت أرض الغرفة .

وكانت سونيا تسبح فى بركة من الدماء ، فتقدمت الى جثتها ونقلتها الى غرفة أخرى ثم عدت الى بيتر وكان مستغرقاً فى ذهوله ، وما رآنى حتى قال دون أن يعى ما يقول :

— ثون جنتنر ... أكان نيكولى آلة حقاً ... أم كان إنساناً يعقل ما يفعل ؟ أترانى خلقت فلاحا روسيا يحقد على النبلاء ، وتفيض نفسه بالانتقام ؟

— هذا توهم يا صديق ... إنك لم تبتدع إلا آلة كان موت سونيا خطأ منها .

فنظر إلى بوجهه الساهم الحزين ثم قال :

— ثون جنتنر ... إنى لم أقدر قبل الآن تلك الصلة الروحية التى تربط الناس ببعضهم... وأظنك تعلم مبلغ حبى لسونيا ، والآن وقد قضت نحبها فانى أحس أنى قضيت معها نحبى ...

لقد أزهقت آلاتى إبان الحرب من الأرواح البريئة ما يعجز عن حصره البيان ... وكل روح من تلك الأرواح ... لا بد أن كان هناك من يألم لها ألمى الآن على سونيا

وأطرق قليلاً ثم رفع رأسه قائلاً فى حزن :

— لقد كان العلم فى يدى أداة لإهلاك العالم وتدمير الأرض ، فلم لا أجعله أداة لإسعاد العالم وخدمة الانسان ؟

— يمكنك أن تعمل على ذلك يا بيتر ... ولقد وهبك الله قريحة هى خير من يخدم العالم إن شاءت ، فأجاب فى ألم :

— حقاً ... حقاً ... سأعمل على ذلك يا ثون جنتنر ، سأصلح ما قدمت يداى ، سأأسو جراح العالم ، وأدرأ عنه ويل الحرب ...

* * *

واستقام الفون جنتنر واقفاً ، وسار إلى الشرفة فى خطوات متزنة ، وكانت الشمس قد هبطت عن الأفق ، وغابت على مدى ثلاثة وتسعين مليوناً من الأميال ، وبدأ الليل ينشر ذوائبه الفاحمة ويرخى نقابه الأسود على الأفق ، فاستدار الفون جنتنر إلى قائلاً :

— لقد كنت تريد أن تعرف لماذا يؤثر سنونهلم الآن خدمة السلام العام ، ولماذا اختار اسم سونيا ليعن اسما لفازه الجديد ...

— « حسن ... لقد أخبرتك »

أحمد فتحى مرسى

# المستر بكوك ورفاقه

## للقصصي الانجليزي شارلز ديكنز

( تابع ما نشر في العدد الماضي )

واتجه الرجل على حين غفلة إلى مستر توعمان قائلا : « فتاة جميلة أيها السيد » ، وكان مستر توعمان يصوب نظراته في مظهر لا يتفق ومبادئ تلك الجماعة ، جماعة بكوك ، إلى غادة في الطريق . وأجاب توعمان بقوله : « جداً »

— ليست فتياتنا من الجمال كفتيات أسبانيا مخلوقات نبيلة .. شعر أشقر ... عيون دعج ... قدود رشيقة ... مخلوقات حلوة ... جميلة

وتساءل مستر توعمان : « هل زرت أسبانيا أيها السيد ؟ »

وأجابه ذلك الشخص قائلا : « قضيت هنالك عصوراً »

فسأله مستر توعمان : « هل ثمة من انتصارات أيها السيد » ؟

— انتصارات ! آلاف ... دون بولارد فزجيج .... جراندى .... بنته الوحيدة ... دونا كرستينا ... مخلوقة جميلة ... تحبني حب الجنون ... أب حقود . ابنة عزيزة النفس ورجل انجليزي وجيه ... دونا كرستينا في يأس ... سم . مضخة صغيرة للمعدة في حقيبتي ... عملية ناجحة ... بولارو العجوز في سرور غالب ... يوافق على زواجنا ... أيد مشتبكة وفيض من الدمع ... قصة مؤثرة ... جداً »

شارلز دكنز

وكانت صفات تلك الفتاة ومفاتنها قد تركت أثراً عميقاً في نفس مستر توعمان فسأل الرجل : « هل السيدة في انجلترا الآن أيها السيد » ؟

— « لقد ماتت أيها السيد ... ماتت »

وعندئذ وضع الرجل على عينه خرقة صغيرة قذرة كانت بقايا منديل قديم وأتم كلامه قائلا : « لم تشعر بتهدم هيكلها ... وذهبت فريسة »

وسأل سندجراس ذو النفس الشاعرة : « وماذا كان من أمر والدها ؟ »

— « حزن وشقاء ... اختفى فجأة ... حديث

المدينة كلها ... بحث فى كل جهة ... لا طائل ... يقف انفجار الماء بغتة من النافورة فى الساحة الكبرى ... أسابيع تتصرم .... الماء لا ينبعث عمال لتطهيرها ... نزح الماء الراكد ... وجه حمارى رأسه إلى أسفل فى فوهة النافورة ... أخرجوه ... تلعب المياه متدفقة من النافورة كأن لم يكن هناك شيء »

واقد بلغ التأثر بمستر سند جراس مبلغاً عظيما فقال : « هل تسمح لى أيها السيد أن أثبت فى دفترى تلك المأساة الصغيرة ؟ »

— « اسمح لك لا ريب أيها السيد ... خمسون غيرها إن شئت أن تسمع ... حياة غريبة . تاريخ عجيب ليس تاريخاً فذاً ... ولكنه وحيد فى بابه »

وظل الرجل يقص من تاريخه عليهم وهو يتناول بين الفينة والفينة كأساً من الخمر ، حتى بلغت العربة قنطرة روشستر ، عندئذ كانت صفحات كل من مستر بكوك ومستر سند جراس قد امتلأت بما اختاره من مخاطراته

ولاحت لأعين السفر قلعة قديمة ، فصاح مستر سند جراس بكل ما وسعه من حماسة شعرية اتصف بها « يالها من أطلال فاخرة ! »

ورفع مستر بكوك منظاره المقرب إلى عينيه فانطلق لسانه قائلا : « ما أعظمها موضع دراسة لمن يعنى بالآثار ! »

وقال الرجل : « آه ... مكان جميل ... قلعة فاخرة ... حوائط عابسة ... أقواس متداعية ... برج ... متهدم وهناك كنيسة قديمة أيضاً ... برت سلمها أقدام الحجيج ... » وهكذا ظل الرجل يهذى بمثل تلك العبارات حتى بلغت العربة فندق « بول » فنزلوا ؛ وهناك سأل مستر ونكل ذلك الرجل

هل يبقى فى الفندق ؟ وأجاب الرجل بأنه لا يعتزم البقاء . ثم اتجه مستر ونكل إلى مستر بكوك وتمتم ببعض كلمات ، ثم سرت همسة من فم مستر بكوك إلى اذن مستر سندجراس ، ثم من مستر سندجراس إلى مستر توعان ، وأخيراً اهتزت الرؤوس كلها بإشارة موافقة ، فخاطب مستر بكوك ذلك الغريب بقوله :

« لقد أوليتنا اليوم صنيعاً جميلا أيها السيد ، فهل تسمح لنا أن نتقدم بدليل بسيط على ما نكنه لك من شكران ؟ إنا نرجو منك أن تشرف مائدتنا اليوم »

« مع فائق السرور ... ولتكن دجاجة ومرق ومايقدم معها ... على أنى لا أقترح ... ومتى يكون ذلك ... ؟

وأجاب مستر بكوك : نحن الآن قبيل الساعة الثالثة ، فهل يلائمك أن يكون الأكل عند الخامسة ؟

... يلائمنى ذلك تماماً ... عند تمام الخامسة ... وإذن فلتمنوا بأنفسكم حتى ذلك الوقت ... وانطلق الرجل بعد أن رفع قبعته قليلاً عن رأسه وأعادها فى فتور ؛ وكانت تبرز إلى النصف من جيب سراويله تلك الحزمة الملفوفة بالورق البنى اللون ، وكان سريع الخطو خفيف المشية ، ورأوه ينعطف فى الشارع المجاور

واتجه مستر بكوك الى رفاقه قائلا : « يظهر فى جلاء أنه رجل كثير الأسفار والتجوال فى الممالك ، وأنه دقيق الملاحظة وثيق الخبرة بطبائع الناس والأشياء »

وأجاب مستر سندجراس : « كم يشوقنى أن أرى ملحمته ! »

وقال مستر ونكل : « وأنا كم أودلو أنى رأيت ذلك الكلب »

ولم يقل مستر توبمان شيئاً ، ولكنه كان يفكر فى دونا كرستينا وفى الناقورة ، ومن ثم فقد امتلأت عيناه بالدموع

وبعد أن احتجز هؤلاء غرفة جلوس لهم ، وخبروا غرف نومهم ، وأمروا باعداد ما رغبوا من طعام ، خرجوا من الفندق يلقون نظرة على المدينة وما يجاورها

وإنا لا نجد فيما أثبت مستر بكوك فى دفتره عن المدينة وما حولها ، ما يشعر بأن ما تركه منظرها من أثر فى نفسه يختلف فى شىء عما كتبه غيره ممن زاروا تلك الجهة ، ومن السهل أن نوجز وصفه فيما يلى :

« يتبين لى أن أهم ما تنتجه هذه المدينة وجاراتها ، هو الجند والبحارة واليهود والطباشير والجمبرى والضباط وعمال الموانى ، وأن ما يعرض عادة للبيع فى شوارعها العامة لا يعدو الواردات البحرية والتفاح والسمك الطرى والجندفلى . وتقع الأعين فى تلك الشوارع على مظاهر بهيج حى ، يكون مبعثه فى الغالب مرح الجند وزياطهم إذ يتجمعون . ولعمرى أن مما يبهج نفس كل امرىء سخى اليد يحب معاشرة الأصدقاء ، أن يرى هؤلاء الرجال الظاريف يموج بعضهم فى بعض ، بفعل ذلك الفيض الحامى ، ترسله حمية الأجسام والأرواح ؛ ويتجلى ذلك على الأخص ، إذا ذكرنا ، أن السير فى إثر هؤلاء ، ومشاركتهم فى مزاحهم ، يهيىء متعة رخيصة بريئة للعامة ، فليس هناك من مظاهر الانبساط ما يفوق انبساط نفوسهم ورقتها . حدث قبل مجيئى بيوم أن أهين أحدهم إهانة بالغة فى حانة عامة ، فلقد أبت ساقية الخمر أن تعطيه من خمرها زيادة على ما أخذ ؛ فكان جوابه على ذلك أن استل خنجره ، وجرح الفتاة فى كتفها ، وهو ما فعل ذلك إلا على سبيل المداعبة فحسب . ومع ذلك فقد كان هذا الفتى الظريف أول من حضر إلى الحانة فى الصباح التالى ، حيث أعرب عن استعداده لتناسى الحادث كأن لم يكن هناك شىء »

واستمر مستر بكوك يصف المدينة قائلاً : ويخيل إلى أن التبغ يستهلك فى هذه المدينة بكثرة هائلة ، وأن تلك الرائحة التى تملأ شوارعها ليستسيغها ويستمرئها أولئك الذين اشتد ولوعهم بالتدخين . ولقد يأخذ السائح الغرير على المدينة وضواحيها ما يراه من قذارتها ، تلك القذارة التى تعد أظهر صفاتها ؛ بيد أن هؤلاء الذين يرون فى تلك القذارة علامة الحركة ودليل النجاح التجارى ، يرتاحون ، لا ريب ، إلى ذلك المظهر »

وحضر ذلك الغريب عند الساعة الخامسة وهو الموعد الذى حددوه . وما هى إلا برهة حتى أحضر الطعام . ولم تك مع الرجل تلك الحزمة الملفوفة فى الورق البنى ، ولكنه لم يغير شيئاً من هندامه ، بيد أنه عاد أكثر ثرثرة ، إن كان هذا ممكناً

فلما رفع الغلام غطاء أحد الأطباق تساءل الرجل : « ما هذا ؟ »

وأجابه الغلام : « هذا سمك طرى ياسيدى »

— « سمك طرى . آه ... سمك عظيم ... يرد كله من لندن ... أصحاب عربات الرحيل يأتون بولائم سياسية ... عربات نقل ملأى بالسمك الطرى ... عدد من السلات ... قوم ماكرون . كأس من الخمر ياسيدى »

وأجاب مستر بكوك قائلاً : « بكل سرور »

وشرب الرجل من تلك الخمر أولاً مع مستر بكوك ، ثم مع مستر سنود جراس ، ثم مع مستر

توعان ، ثم مع مستر ونكل ، وأخيراً مع الرفاق مجتمعين ، كل ذلك فى مثل ما يتكلم من سرعة ! »

وراح يسأل خادم الفندق قائلا : « جلبة شديدة على السلم ياغلام ... مقاعد صاعدة الى أعلى ، نجارون يهبطون الى أسفل ... مصابيح ... كؤوس ... قيثارات ... فيم كل هذا ... ؟ »

— « للرقص يا سيدى »

— « اجتماع ؟ »

— « كلا ياسيدى ، ليس هو اجتماعا ياسيدى ، هو حفل من أجل عمل من أعمال البر يا سيدى »

وسأل مستر توعان ذلك الغريب فى شوق : « أيوجد كثير من الغانيات فى هذه المدينة ؟ هل لك علم بذلك أيها السيد ؟ »

— شيء فاخر ... مركز رئيسى . كنْتُ أيها السيد ... كل امرئ يعرف كِنت .. تفاح .. رقوق ... حور ... نساء ... كأس من الخمر يا سيدى . »

وأجابه مستر توعان بقوله : « مع عظيم السرور يا سيدى » ثم ملأ الرجل كأسه وأفرغها

ثم استأنف مستر توعان حديث الرقص قائلا : « كم أتمنى لو أتيح لى الذهاب الى ذلك المكان ! كم أتمنى ! »

وتدخل الغلام بقوله : « تباع التذاكر فى الحانة أيها السيد ، وثمن الواحدة نصف جنيه »

وأعرب مستر توعان ثانية عن رغبته الشديدة فى مشاهدة ذلك الحفل ، ولكنه لما لم يجد أى رد فى عينى مستر سندجراس ، ولا فى حملقة مستر بكوك الفارغة ، أكب فى لذة عظيمة على الشراب والحلوى وقد وضعا إذ ذاك على المائدة . وانسحب الغلام تاركا الجماعة يستمتعون براحة تينك الساعتين اللتين تعقبان الغداء

وقال الرجل الغريب : « عفوا ومعذرة أيها السيد ... بقيت زجاجة ... أدرها ... وجهة الشمس ... أديروا الكؤوس واشربوها حتى الثمالة » ثم أفرغ كأسه وكان قد ملأها منذ دقيقتين ، وعاد فملأه فى هيئة من اعتاد ذلك الفعل

وأديرت كؤوس الراح وطابت مقادير جديدة ، وأخذ الغريب يتحدث وجماعة بكوك ينصتون . وكانت الرغبة فى رؤية الحفلة تلح على مستر توعان بين لحظة وأخرى ؛ وأشرب وجه مستر بكوك بتلك الصبغة ، وشاعت فيه تلك الحرارة التى يبعثها الاحساس العميق بالأخاء ومحبة الرفاق ، وأخذ النعاس كلا من مستر ونكل ومستر سندجراس فناما ملء جفونهما

وقال الغريب : « بدأ الحفل فى الطابق العلوى . اسمع أصوات الجمع ... تختبر القيثارات ... ثم العود ... لقد بدأوا ... » ولقد دلت الأصوات المختلفة التى وصلت الى أسفل البناء أن هؤلاء الراقصين قد بدأوا الشوط الأول

وعاد مستر توعان يقول : « كم أتمنى أن أشهد الحفل ! »

وعاد الغريب قائلا : « وأنا أيضا كم أتمنى ذلك . لمن الله ذلك المتاع الثقيل ... كتلة ضخمة ... ليس لدى من الملابس ما أرتديه لأذهب الى اللهو .. موقف نكد ... أليس كذلك ؟ »

وكان الاحسان والخير العام فى مقدمة المظاهر الرئيسية فى مبدأ جماعة بكوك ؛ ولم يكن ثمة فيهم من هو أشد ظهورا فى إخلاصه لهذا المبدأ من مستر

ترامي توعان . وإنك لتجد فيا أثبت فى سجل الجماعة من مواقف ذلك الرجل الفـذ ما لا يسهل تصديقه ؛ وفى تلك المواقف ترى هذا الرجل يغدق ميراثه على بقية الأعضاء وعد إليهم يد المساعدة

وقال مستر توعان لذلك الغريب : « إنه لما يسـعدنى أن أعطيك من ملابسى ما بقى بغرضك ، ولـكنك تبدو نحيفاً على حين أنى ... »

— « إنك بدين ... باخوس إلـه الخمر الشاب ازداد بدانة ... قطع أردانه ... ترجـل من فوق رميل ... يرتدى سترة ضيقة من الصوف تلتصق بجسمه ... ها ... ها ... أدر كؤوس الراح »

وليت شعرى هل امتعض مستر توعان بعض الامتعاض لتلك اللهجة التى طلب بها إليـه ذلك الرجل أن يدير الخمر التى ما لبث أن عبها ، أم أنه وقد رأى عضواً من أعضاء جماعة بكوك يُشبِّه بباخوس المترجل ، قد أحس فى ذلك تشهيراً به وتعريضاً شنيعاً ؟ ذلك أمر لم يتبين بعـد . تاول الغريب الخمر وتكلف السعال مرتين ، ووجه إلى الرجل نظرات صارمة حادة استمرت عدة ثوان ، ولـكنه لما رأى من ثبات ذلك الرجل وهدوئه ما رأى على الرغم من تلك النظرات لم ير بداً من أن يستردها شيئاً فشيئاً وأن يعود به إلى حديث الرقص فقال :

«أردت ياسيدى أن أقول إنه إذا كانت ملابسى لا تلائمك لشـدة وسعها ، فان ملابس صديقى مستر ونكل ربمـا كانت مناسبة » .

وقاس الرجل بعينه ملابس مستر ونكل وانبسطت أسارير وجهه وهو يقول : « إنها عين ما أريد »

وتلفت مستر توعـان حوله ، فرأى أن الخمر التى ساقت صديقيه مستر سندجراس ومستر ونكل الى النعاس ، قد أخذت تدب الى حواس مستر بكوك . وكان هـــذا السيد ، قد تقلب فى تلك الدرجات التى تسبق عادة الخمود الذى يتلو الأكل وما يلحق به . أخذ يهبط من قمة الانتشاء الى أعماق البؤس ، ويصعد من أعماق البؤس الى قمة الانتشاء ، فـكان بذلك كمصباح الغاز فى الشارع . لم تكد تهب الريح على فوهته حتى كان كالمصباح ، انبعث منه أول الأمر وهج شديد اللمعان ، ثم ما لبث أن خفت حتى لتحسبه قد انطفأ ، وما هى إلا برهة حتى انبثق نوره ثانية ليلتمع لحظة ثم عاد فارتعش ذلك النور واضطرب حتى انطفأ فى النهاية . ومال رأسه فاستند الى صدره . ولم يك ثمة شىء مما تستدل به الآذان على وجود ذلك الرجل العظيم ، سوى ذلك الشخير المتتابع ، تقطعه بين آونة وأخرى حشرجة طفيفة .

وكانت قد اشتدت فى تلك الآونة رغبـة مستر توعان فى أن يشهد بهو الرقص ويرى لأول مرة مقدار ما يتركه جمال غادات كِنْت من أثر فى نفسه . كذلك اشتدت رغبته فى أن يصطحب معه ذلك الغريب ، فهو لم يسبق له علم بتلك الجهات ولا بساكنيها . على حين يخيل إليه أن ذلك الغريب يعرفها كأنه عاش فيها منذ نعومة أظفاره .

وكان مستر ونكل يغط فى نومه ، وكان صديقه مستر توعان يعرف معرفة خبرة ووثوق مما شاهده من أمر صاحبه فى مثل تلك الأحوال أنه إذا استيقظ من نوم كهذا ، فما يكون ذلك حتى فى الأحوال العادية إلا لـكى يلقى بنفسه على سريره . وصاح ذلك الغريب الذى لم يعرف التعب برفيقـه قائلا : « إملأ كأسك وأدر الخمر » .

وفعل مستر توعان ما طلب إليه . وكانت تلك

السكأس الأخيرة كأنها حافز حمله بعقد النية على تنفيذ ما اعتزم . ثم اتجه الى صاحبه قائلا : —

« تقع الحجرة التى سينام فيها مستر ونكل داخل حجرتى ، وأنا لا أستطيع إذا أيقظته الآن أن أفهمه ماذا أريد منه ؛ ولكنى أعرف أن عنده حلة كاملة فى حقيبته ، فاذا فرضنا أنك ارتديتها وذهبت بها الى البهو ، ثم خلعتها بعد عودتنا ، فانى أستطيع أن أضعها فى مكانها دون أن أزعجه الآن أو أقلقه »

« فكرة صائبة ... حيلة فائقة ... موقف نكد امين ... أربع عشرة حلة فى ذلك المتاع الثقيل وأرانى مضطراً أن ألبس ثياب رجل آخر ! .. فكرة حسنة جداً ، تلك الفكرة ... جداً »

وقال مستر توعان : « يجب أن نشترى تذاكرنا »

— « أمر لا يحتاج أن نقسم الجنيه قسمين ... دعنا نقترع من يدفع للاثنين ... ألق الجنيه على المائدة ... لفه كما تلف المغزل بأصابعك ... أنا أقول إنك ستجد الوجه الذى رسمت عليه المرأة ... المرأة ... المرأة ... المرأة الساحرة »

وألقى الجنيه على المائدة وظهر منه الوجه الذى طبع عليه الفارس وقد سماه الرجل بالمرأة من باب التفارف

ودق مستر توعان الجرس واشترى التذاكر وطلب إلى الغلام مصباحا أو شمعاً يذهب به إلى الحجرة ؛ وبعد ربع ساعة كان ذلك الغريب يخطر فى حلة مستر ونكل

وبينما كان الرجل ينظر إلى ثيابه فى المرآة قال مستر توعان : « إنها حلة جديدة ، وهى أول حلة صنعت تحمل زرار نادينا » . ثم وجه نظر الرجل إلى ذلك الزرار الكبير المذهب الذى طبعت فى وسطه صورة وجه مستر بكويك ثم كل من تينك الحرفين ( P. C ) على الجانبين [1] . وتساءل ذلك الغريب « P. C. ؟ ماذا ... منظر غريب ... صورة ذلك الرئيس و P. C. ماذا تعنون بذينك الحرفين ؟ أتريدون بهما « Pebuliar Coat » [2] ؟ وراح مستر توعان يشرح للرجل فى امتعاض شديد وفى زهو وترفع ذلك اللغز الخفى

وأخذ ذلك الغريب يقول وهو يدور على عقبيه ليرى نفسه فى المرآة : « تبدو قصيرة عند الوسط ... أشبه بسترة رجل البريد العام ... حلل غريبة تلك الحلل ... صنعت بلا قياس ... تجىء معكوسة ... وتلك من غفلات القدر التى لا تفهم ... كل من طالت جسومهم تكون حللهم قصيرة ، وكل من قصرت أجسامهم تكون حللهم طويلة »

وفى أثناء تلك الثرثرة ، أصلح الرجل وضع ملابسه ، أو على الأصح ملابس مستر ونكل ، وسار فى صحبته مستر توعان ، فصعدا السلم إلى بهو الرقص وسألهما الرجل الواقف بالباب « ما اسما كما أيها السيدان ؟ » . وهم مستر توعان أن يتقدم ليسمع الرجل القابه فحال صاحبه بينه وبين ما أراد

« لا تذكر أسماء قط ... » ثم همس فى أذن مستر توعان بقوله : « لا قيمة للأسماء ... غير المعروفة ... أسماء حسنة جداً فى ذاتها ولكنها ليست عظيمة ... أسماء لها قيمتها فى جمع صغير ، ولكن لا يقام لها وزن فى حفل عام ... قل : رجلان من لندن ... غريبان من ذوى المكانة ... أى شىء » .

وفتح الباب على مصراعيه وتقدم مستر ترامى توعان وذلك الغريب فدخلا بهو الرقص

( يتبع ) هاشم

(١) هما فى الانجليزية الحرفان الأولان من تلك العبارة نادى بكويك ( Pickuick Club ) (٢) حلة خاصة

# سر أبى الهول

مسرحية شعرية في أربعة فصول

للشاعر الفرنسى موريس رستان

بقلم الأستاذ خليل هنداوى

الأشخاص

١ — باريس إيجلانو : شاعر فتى إيطالى
٢ — مارسيلاوس : شقيقه
٣ — أرجانتى : مدير المسرح
٤ — الأمير
٥ صديق الشاعر
٦ — الحاسد
٧ — الدوق لوجانو
٨ — فتى عاشق مصرى
٩ — أبو الهول
١٠ — إيزابيلا موتى : ممثلة إيطالية
١١ — فتاة مصرية
١٢ — سانتيا : أخت الشاعر
١٣ — فتاة عاشقة مصرية
١٤ — الحسناء المتفرجة
١٥ — السكانيالى

(تجرى حوادث المسرحية فى إيطاليا ثم تنتقل إلى مصر خاصة)

## الفصل الأول

الجو : أمسية تمثيل فى روما فى المسرح الكبير الحالى وقد ظهر قسم من البهو تشرف فيه المقاعد الأمامية واللوج المواجه للفصل ، الستار لا يزال مرخى ، هذا مساء يتكرر فيه تمثيل مسرحية « أبى الهول » للشاعر الإيطالى « باريس إيجلانو » وخلال ذلك يكون المتفرجون بين قاعد وقائم ومتكلم وقد غرق القوم فى ثورة حادة من الجدال ، والنساء قائمات يتحدثن ، وهنالك متفرجة حسناء تتحدث مع الأمير »

منظر وحيد

المتفرجة الحسناء ، الأمير ، المتفرجون والمتفرجات ، وفى المقدمة زوج قنصل الانجليز ، وصديق الشاعر ثم مارسيلاوس ثم أرجانتى فالمدير فالشاعر

المتفرجة الحسناء — كان ينبغى أن يبدأ الساعة الثامنة ؟

الأمير — لنتحدث ياعزيزتى متأملين الأنوار الساطعة

المتفرجة — ( شاكة ) أيبلغ من العبقرية هذا الحد ؟

الأمير — هكذا يقال

المتفرجة — ( المتفرجة تهجىء دون انتباه عنوان القطعة المدونة على الورقة )

أبو الهول : كيف كانت مسرحيته الأخيرة ؟

الأمير — أجريئة ؟

المتفرجة — فوق ما يتصور

الأمير — أبلغت جرأة لا يستطاع إخمادها . فكرى فى أن ليس فيها مكان ثاء ، على أننا هنا جالسون فى مكان ملائم كل الملاءمة

المتفرجة — وماذا يقولون من القطعة بالاجمال ؟

الأمير — لا أدرى (بصوت منخفض) يتكلمون عنها كثيراً بالسوء ! ينبغى أن يتحدث عن ضعف القطع قبل تمثيلها خشية أن يكون بعدها ...

متفرجة أخرى — أنظروا الدوقة ، كانت

بالأمس ردائها الأزرق ، وفى هذا المساء رداء حالك اللون ، لونه الغريب يزرى بالسواد ، وانظروا قرينة القنصل ( تظهر بينهما شخصان )

مدعو — أهى جميلة ؟

الأمير — كزنبقة تهوى عليها أنظار الرجال ، تستوى وتتكىء على أصابعها ذات الخواتم البراقة

متفرجة — ( سخرية ) كل هذا — داعيًا — من أجل باريس إيجلانو !

حسود — يا لحظه !

الأمير — وهل أنت آسف على ذلك ؟

الحسود — إنى أنتظر . يجب أن ينتهى ذلك يومًا : السكل ينتهى من نساء ، من مجد ، إزابيلا موتى ، إن فى حوزته كل شىء

الأمير — ولكن ليس لك إلا أن تمهل عمله ، فابلغ القلوب نهزها . إن هذا ليس بمسير

الحسود — أنظر ! لا مقعد فارغ ! إنه ترك المدينة تأتى إليه سميًا ، والناس كلهم منتشرون إزاء الستار

الأمير — ولكنى لا أراك فى المقـــدمة ، وأجدك موليًا ظهرك للستار

الحسود — ذلك خير !

الأمير — ماذا تنتظر أيها الصـل الرقيق الملمس ؟

الحسود — أرجو أن أرى رواية أخ من إخواننا يصفر لها الناس صفير استهجان !

امرأة — ما هذا التخلف ؟

أخرى — يجب أن تكون « إزابيلاموتى » سبب هذا التخلف ؛ ومعها يتكرر داعيًا هـذا التخلف

أخرى — وبأى دور تقوم ؟

الأمير — ( بهزء ) بدور أبى الهول ، لا ريب !

أخرى — إنها لغريبة الأطوار

المتفرجة الحسناء — إنها تنزع قردًا !

الأمير — كأنما تريد أن تظهر بخبث كيف تقبض دومًا على القرد الذى يُدعى رجلا

المتفرجة — إن لها حفلات راقصة أشد هياجا من مواطن الفحش والعربدة

أخرى — على أنها تؤثر على كل شىء قبس أنوار الشموع

السكانتيللى — وهل أنت على ثقة بأنه عشيقها ؟

متفرج — من ؟

السكانتيللى — وهل عندك شك فى ذلك ؟ هو باريس إيجلانو . وهذا سبب القتهما الآخـذة فى النمو

أخرى — إنها لا تمثـل إلا الأدوار التى تخرج منه

أخرى — وطالما اعترفت بذلك من قبـل

متفرجة — ولكنها يا رفيقتى كانت تخاطبه فى فينيس فى شهر يونيو الأخير — بلهجة الفرد أمام أصحاب الزوارق

أخرى — لو شئت لأصبحت شهيرة الاسم غدا

أخرى — إن لهـا كلابًا سلوقية ، وتخرج شبه عارية

الأمير — ليس هذا بالرائع كشىء غريب ، فاصفحوا عنها عاجلاً لجمالها ، واصفحوا عنها سريعا لظرفها الذى يتلألأ حولها حيث خطرت ، فى ذلك النهار ، فى القصر . . .

المتفرجة — فى « السوقونيسيا » . .

الأمير — نزلت شاحبة الوجه عشية تغبطها عليها « بياتريس » وتحسدها « لورا » نظرنا إليها

بعين تلونت ، ونظر بعضنا بعضاً ، وقد غشيت وجوهنا كذلك صفرة . كم كانت جميلة ! خُيل الينا أن وجهها الذى غاض منه الدم رخام شفاف فهمس أحدنا : إنها « ديانا » . وقال الآخر : « إنها آريانا » وهكذا كانت تمشى الأسماء حولها وتتعالى وتنخفض كأ كاليل متوهج ، وللجمال أسماء متعددة ، أما هو فواحد !

الكانتيللى — ( منكبة على مقعدها تقرأ العنوان بدون اكتراث على صفحة البرنامج ) أبو الهول ؟ إنى أحب هذا العنوان ؛ إنه يمثل لى النواويس القديمة ، السماء الزرقاء ، الصحراء . . هل تعرف مصر ؟ ( يتتبع صوتها فى الضوضاء )

الأمير — ( وقد لمح متفرجاً جديداً ) وهذا صديق حميم للشاعر . . .

المتفرجة — هذا الأشقر ؛

الأمير — إنه سيحدثنا منه عن السوء الذى نريده

المتفرجة — صديقه ؟

الأمير — حقاً ؛ إليكم هذا القانون : إذا كان لنا من يبغضنا فهم أخلاؤنا . لنناده . . .

صديق الشاعر — ( عائداً ) أأنت ؟

الأمير — ( يقدمه لحسناء ) صديق للشاعر

الصديق — سترون أن المشهد الأول هو خير المشاهد

الأمير — أحقاً ؟

الصديق — ( متنهداً ) والثانى

الأمير — تنهدتك فيها تنبه ، وهل أنت واثق بالفوز مع ذلك ؟

الصديق — أريد أن أؤمن به ولكن ( بتنهدة ثانية )

الأمير — وهذه فيها قلق . . .

الصديق — إنه كثير الايمان بنفسه وذلك ما يبعث على القلق .. ثم ما ذا تقولون ؟ إنها ليست من المرح على شىء . آه لو يهجر هذه الأنواع موجهاً عبقريته إلى مواضيع أكثر وجاهة . لو فعل ذلك لضمن له الفوز دون شك . قلت له ذلك مراراً ، وأعدت عليه القول تكراراً فلم يذعن : على أن عندى مواضيع المسرح كثيرة . وما عليه إلا أن يكتب ويتوجه الى الناس بما يفهمونه : فمن حب متواضع ، ومن مفاجآت ، ومن لحظات روحية ، أو من ضحك يؤول القليل منه إلى بكاء ؛ وأخيراً النموذج الذى ينطوى على كل شىء مما يعاد تمثيله مئات المرات . ولكنه يأبى الاذعان لرأيى ، والشعب مهما ارتقى لا يزال مفتقراً إلى أن نسايه ؛ أما أن نقص عليه تاريخه فهذا كثير : أما مسرحياته فلا بطل لها سواه ، وفى هذه المرة أيضاً . . .

فتى — ( يدنو منه )

هل تعرف القطعة ؟ وما مآخذك عليها ؟

الصديق — كآبتها

امرأة — ( بسخرية ) حقاً ؟

الصديق — لقد أراد — وأضحكنى منه ذلك — أن يعالج أكبر مسألة فى الوجود ، وهى مسألة الموت . والمسرح ينفر من مثل هذا . ولقد يهين شعباً من يريد أن يحمله على التفكير . المسرح يفتقر إلى عمل ، وخصومة وسارقين . ولا يستطيع أحد أن يؤلف قطعة بقلبه وحده

امرأة — من يدرى ؟

الصديق — العمل المسرحى هو الشرط الأول : أتثقون بى ؟ إنه ناقضنى : وبدلاً من أن يعمد إلى رواية جديدة لبث يعطينا ما يرضى عنه مقياسه الخاص جاعلاً من المسرح مكان اعتراف ، معتقداً

أنه يجب قبل كل شيء أن يحيا في مسرحياته . إنه انخدع وسيرى سأم الشعب منه . وإني لعلى يقين من أن هذا ليس بنتاج مسرحي !

( مارسيللوس انجلانو يدنو رويداً رويداً وقد شعرالهم يتكلمون عن أخيه ، وفجأة قابل هذا الصديق )

مارسيللوس : هذا أنت لا تنطق بلهجة واحدة

الصديق : ليكن ؛ إن له البراعة ، ولكن بإمكانه أن يكون أكثر فوزاً

مارسيللوس — ( بعجلة ) الفوز ! هذه هي كلمة طرحتها ، إنه ليحصل عليه لأنه لم يتحرعنه كثيراً ، على أنني ما كنت لأحقر الفوز من أجل إرضاء رغبة ، لأن — هنالك — فوزاً وفوزاً ، ولقد نظرت آثارا كثيرة قوبلت بصفير الاستهزاء ، أو بتصفيق الاعجاب ، ولكن أحداً لم يخدع بقيمتها ...

الصديق — ولكن ...

مارسيللوس — لنقف عند هذه الكلمة ، كلمة الفوز ، فكلما كانت الكبرياء مصونة كان الفوز أكبر ، فالشاعر ، بالرغم عن نفسه يستحي من الضحكة الرنانة الناشئة عن حركة رائعة منه ، فهو إذا لم ينغمس إلا في نفسه ولم يتخذ للتحليق إلا أجنحته ، ولم يفكر في الناظرين إليه من أبناء الأرض ، إذا لم يفكر إلا في تحليقه وحالة نفسه التي يعبر عنها ، وإذا لم يعد يرى — بعد انتهائه من الصعود — إلا الفحم ، فان كبرياءه — اذ ذاك — كبرياءه المشرقة تستطيع أن تنتخب حظها وأن تتكلم بلهجة عالية قائلة : ليقبل إليّ المجد فانا لا أرحل نحوه ...

الصديق - أجل ! إنني أعلم ...

مارسيللوس — صه ! أيها الفسر المرائي ! إنك لا تفكر إلا في المال من حيث لا يفكر إلا في الفن .

الحسود — ( مخاطباً المتفرجات اللاتي يسألن عنه ) شقيق المؤلف .

مارسيللوس — ولا ينظر إلا إلى الجمال العميق البعيد الغور . المجد عندكم بحد مديح الناس وإعجابهم ودعواتهم وأوسمتهم ، ولكن المجد — عند قلبه الذي يجهل دموعكم — هو ملكة مختالة تخطر حافية إن ما يريده ليس بذلك الفوز الزائل الذي يهتز له ضحكا جلاس المواقع الأولى ، ولكن ما يريده هو الشعور القوي المنيف بخفقات القلوب تجيب خفقات قلبه بسمو ورفعة ، وهو إنما يعبر عن النفس الانسانية إذ يعبر عن نفسه ، ويرى أن تحقيق الظفر للقطعة يوجب عليه أن يحررها بقلبه ، كل ما يتنكرونه يتنكره ذوق متصنع متكلف على أن أكبر أثر هو تضحية كبيرة !

( بصخب )

الصديق — ( هازاً كتفيه ) إنه وهم باطل ينتهي بالحرق ! سترى . لنتحدث عنه بعد ثمانية أيام .

الحسود — إن مارسيللوس أخوه

آخر — ولهذا يتجشم مئونة الذود عنه كراهب فتيّ يتأثر حين يشتم ربه

الأمير — إن له صيحات حسنة

متفرجة — وله عينان جميلتان ؛ وقد زاد عنه بشدة

الصديق — عثل هذه الحماقات يحشو المعجبون به أذنيه

الفن ! الجمال ! كل هذا لا يساوي قطعة حسن حبكها تغل عاماً

( ثلاث ضربات )

الحسناء — آه ! ثلاث ضربات ... لنفزع إلى مقاعدنا !

( يشق الستار لمدير المسرح )

الجماعة — أخطاب ؟ ما هذا ؟ المدير ذاته ؟ ولكنهم ضربوا ثلاثا . ليتكلم ! ولننتظر !

المدير — معذرة يا سادتي وسيداتي ، لا أستطيع التكلم إذا قاطعتموني

الجماعة — كفى ...

المدير — إن مأساة الشاعر الكبير لن نقدر على تمثيلها هذا المساء

الجماعة — ماذا تقول ؟

المدير — إسمعوني قليلاً واعتصموا بصبركم !

الجماعة — نريد « مر أبي الهول » مهما ذهب الأمر

المدير — إسمعوني ، إسمعوني بلطف ! لن نقدر على تمثيلها لأن صاحبها حال دون ذلك

الجماعة — المؤلف ... لا يمكن ذلك

المدير — المؤلف نفسه نقح فيها

الجماعة — المؤلف ... المؤلف ... كفى ... أيها الكذاب ! أيها اللص ! أيها الأثيم !

المدير — إسمعوني قليلاً ! وأنا وافقت على إرجاء تمثيلها لبوادر القلق التي رأيتها تغشى وجهه ، وإنكم لتشفقون عليه كما أشفقت أنا . إنه المؤلف ! وإنه أيضاً الصديق الذي أحبه

الجماعة — آه

المدير — إن روايته الأولى مُثلت هنا على هذا المسرح ، وقد كانت جائزة لإعجاب القوم ، ولم يزل في أثناء الستار وإطوائه تصفيق فخار ، ألسنا مدينين له بكثير من الساعات الطويلة ؟ فلنسمح له بها عن هذا التردد ، إن حبك أيها المدينة وهتافك وإعجابك وقلبك الرحب جعله صعباً مع نفسه إلى مثل هذا الحد ، ألا تجدون في إحجامه عن تقديم القطعة ؟ ألا تحسون في شكه وقلقه كل هذا الثمن الذي يدحه لكم أيها السامعون ! يجدر بنا أن نؤمن به في اللحظة التي يشك فيها من نفسه وهذا حقه

الجماعة — كان ينبغي عليه أن يعلمنا من قبل ... ليأت إذاً ... ليطلع علينا !

(يظهر باريس إنجلانو خلف المدير ... صفير وصراخ ...)

باريس — ( بصوت شديد وعلى وجهه صفرة )

ها أنا ذا يا شعب روما ! يا نقاده ويا كتابه ، يا رسامية وفنانيه ورجاله ! ويا أصدقائي المبعثرين في هذا الخضم الواسع ، ها أنا ذا إذا شئتم أن تصفروا لي ...

الجماعة — ما هذه المجازفة ؟

باريس — يجب أن آتي ، لا يفر أحد من هذا المكان غيري ! أنا ألفت الرواية وأنا حلت دون تمثيلها ، وإذا أردتم عرفان السبب فاصغوا إلي !

الجماعة — كفى ... لماذا ؟

باريس — جئت بنفسي معترفاً ! اسمع لي أيها الشعب الذي أحبه ! ألم أقاسمكم بالقدر الكافي أعشار فؤادي لقاء ترحيب — منكم بي — أقل هزءاً وسخرية .

الجماعة — ذروه يتكلم !

باريس — ألم أحببكم — بدون انقطاع — عهوداً ووفيتها ، ووعوداً وأنجزتها ؟ ألم أطأطب إليكم الكبرياء التي تتمسكون بها ؟ اسمعوا إلي : إن الرواية روايتي ، قد أودعتها كل همسات حياتي ، وفصلت لها جناحين من تنهداتي

الجماعة — حسناً !

باريس — قضيت ثلاثة أعوام منكباً خلالها على نظمها ، وقد صبغت أوراقها بدم غير منظور ، ثم كانت إعادة تلاوتها على أوراق تجمدت ، ثم جاء مهد تزيينها ، ثم تتالت لحظات الشك والريبة . وقد وجدت كل مساء خلال استسلامي لأحلامي أن هذا الأثر القلق الذي كنت أعبده أخذ يتلاشى ، وكلما وافت المأساة وقتها المحتوم أصبح حلها الذي انتهت به قاسياً عندي ، وأصبحت أشعر في ساعة يأسي العنيد أن عرضها عليكم وتقديمها اليكم ضرب من المحال .

الجماعة — إنه لمعتوه .

باريس — لا ، لست بمجنون ولا بي عته ، اصغوا إليّ . أؤكد لكم أنكم موافقون على رأيي ، وتدركون كيف التهمني « أبو الهول » . إني أنزلت في هـذه القطعة الغريبة قلبي ، قلبي كله ، معتقداً بأن الشاعر الذي لا يضع قلبـه في عمله يأتي عمله ناقصاً . ما كنت لأشك في هذا من قبل ، ولـكني فهمت بعد لأي أي حد بلغ إغراقي ؛ ورأيت أن ستاراً خفياً يجب أن يحيط بالمشهد حينما ينطوي على حياة إنسانية

الجماعة — الرواية : الرواية

باريس — ( بهدوء ) إنها لن تمثل !

( الهياج يزداد ) إنني أبصرتها — كما تراءى لي — تنهض من تحت قدميّ ، ورأيتها تولد وتحيا بوجهها الحقيقي . وأدركت أن تقديمها اليكم يعد جريمة . وقد فهمت المثالة التي تقوم بها ذلك : وغاب ترددي العنيف على نفسها . افهمني أنت أيهـا الشعب وأسكت قليلاً حب الاطلاع في نفسك عارفاً بأني كنت داعـا تلك القيثارة التي كانت ترجع أنشودتك القاتمة ، وكنت الصدفة الواحدة التي تهامس فيها أمواجك

( يصمت دقيقة بادياً عليه التأثر مودعاً شعبه )

إنني راحل : وهذا وداعي أردده في هـذا المساء : فلا روما ولا سماؤها يستطيعان أن يلهماني . وداعاً أيتها الأصداء المتجاوبة من هـذا الناووس الشهير : أريد أن أرى « أبا الهول الحقيقي » في مصر حقيقية . لن تسمع — أيها الشعب — بعد اليوم اسمي ولا أناتي .

أقول وداعاً . . .

الجماعة — كفى ... الرواية نريد أن نراها ... هات أبا الهول .

باريس — ليس من حق انسان أن يحطم بالقهر نفساً ! لا لا : لن تروا منهـا شيئاً برغم الحاكم : إنني صمت — أقول — صمت إلا أني أريد ذلك ، وازدريت الكتابة وتنحيت عنهـا لأستطيع الخوض في لجج الحياة ، وجئت لكي أحطم قيثارتي أمامكم ! إنني لن أكتب شيئاً بعد اليوم !

الجماعة — القطعة ... ولتذهب أني ذهبت... نريد أن نراها .

باريس — ( قاذفاً بإضبارة من الورق ) إليكم القطعة ...

الجماعة — آه

باريس — هـذه هي روايتكم التي أضمتهـا بكبريائي وكآبتي ، وهـذه هي النسخة الوحيدة الباقية في الوجود . أنظروها وتروحوا من بعيد ريح أبياتها التي لن تعرفوها . وداعاً ! يا قفص الف من الأشبال من غير حديد ولا شباك ... إذا أردتم قلبي فدونكم قطعاً منه وفلذاً ممزقة ...

( يمزق الأوراق ويقذف بها وجوه السامعين )

( يهبط الستـــار )

( الفصل الثاني في العدد القادم ) خليل هنداوي

# اعترافات فتى العصر

## لألفريد دى موسيه

## بقلم الأستاذ فليكس فارس

(تابع)

إذا كان هذا هو الحب عندك ، فأنى أشفق عليك .

فقال (ديجنه) إنه ما أحب إلا نساء المواخير فهو لا يدقق فى مثل هـذه الأمور . وأضاف إلى ذلك قوله : إنك لم تزل فتياً ، يا أوكتاف ، وتريد الحصول على أشياء كثيرة تنطبق على ما تتوهم ، ولكن هذه الأشياء لا وجود لها ، فإنك تعتقد بالحب ، بل بنوع غريب من الحب ؛ ولعل لك ما يجعلك قادراً على الشعور به ، غير أنى لا أتمناه لك . إنك ستتمتع بخيالات غير هـذه الخايلة يا صديقى ، فتأسف لما فات الليلة الماضية ، إذ لا ريب فى أن هذه المرأة كانت تحبك عند ما جاءت إليك ، وقد لا تحبك فى هـذه الساعة ، ولعلها الآن بين ذراعى رجل آخر ؛ غير أنها فى تلك الليلة وفى هذه الغرفة كانت مولهة بك ، فماذا كان يهمك من الدنيا ؟ لقد أفقدت نفسك ليلة من ليالى العمر ولسوف يشجيك ذكرها لأنها مضت ولن تعود

إن المرأة تغتفر كل اساءة ، ولكنها لا تنسى ذنب من تهرع إليه فيردها ، ولو أن الغرام لم يذهب بها كل مذهب ، لما جاءت إليك مقتحمة صدودك وهى تعلم أنها مجرمة وقد اعترفت بجرمها .

لا ريب فى أنك ستأسف على هذه الليلة لأنك لن تقع بعد على مثلها .

وكان ديجنه يقول هـذا بكل ما فيه من قوة العقيدة وبرود الاختبار ، فكنت وأنا استمع إليه أحس بارتعاش فى جميع أعضائى وبحافز يهيب بى إلى الذهاب لمقابلة عشيقتى أو الكتابة لاستقدامها إلىّ ، ولكننى لم أكن قادراً على النهوض من فراشى ، فوفرت على نفسى التعرض لشاهدتها تنتظر خصمى ، أو لأرى بابها موصداً عليه وعليها ، ولكننى كنت قادراً على توجيه رسالة إليها ، فكنت أفكر بالرغم منى فيما سأخاطبها به

وما بارحنى ديجنه حتى شعرت باضطراب شديد دفعنى إلى التفكير فى وضع حد لهذه الحالة مهما كلفنى

الأمر ، وبعد نزاع عنيف تغلب الاشمئزاز فيه على الحب ، كتبت إلى عشيقتي أنني لن أراها بعد ، وطلبت منها أن لا تحضر إلىّ إذا كانت تتحاشى أن أوصد بابي في وجهها

قرعت الجرس وسلمت الكتاب إلى خادمي لايصاله بلا إبطاء إلى البريد ، ولكنه ما كاد يغلق الباب حتى ناديته فلم يسمع صوتي ، وما تجاسرت أن أدعوه ثانية ، فسترت وجهي بيدي واستسلمت لليأس العميق

## الفصل الرابع

وعند بزوغ الشمس في اليوم التالي ، كان أول ما خطر لي مناجاة نفسي بما يمكن لي أن أفعله بعد الآن

لم يكن لي مهنة ، وما كنت أتعاطى عملاً ، لأنني كنت درست الطب والحقوق وبقيت متردداً بين احتراف إحدى هاتين المهنتين ، ثم اشتغلت ستة أشهر في أحد الحرف غير أنني لم أوفق إلى العمل بدقة ، فتداركت أمري بالاستعفاء قبل أن أطرد ، وكنت درست كثيراً ، غير أن علومي كانت سطحية ، وكنت أنسى العلم بالسهولة التي أتلقنه بها

وكان استقلالي أعز شيء على بعد الحب ، وقد تمشقت حريتي منذ نعومة أظفاري

وكان والدي يخاطبني يوماً بشأن مستقبلي عارضاً على مسالك عديدة للعمل فاتكأت على عارضة النافذة وحدقت بشجرة من الحور ممشوقة تتمايل في الحديقة مع الهواء وأخذت أفكر في اختيار مسلك لي ، وإذ لم يقف ذوقي عند واحد منها ، أطلقت لخيالاتي العنان ، فشعرت فجأة كأن الأرض تميد بي ، وكأنني لمست القوة الخفية الصماء التي تدفع بهذه الكرة في الأجواء ، فخيل إلى أنها ترتفع نحو السماء وأنا عليها كواقف على مركب يمخر العباب وتراءت لي شجرة الحور كصار لهذا المركب ، فتراجعت عن مستندي ومددت ذراعي هاتفا : أية أهمية لمسافر لا يمضي إلا حينا من الزمن على هذا المركب ، فما هو الانسان ، ما هي هذه النقطة السوداء على ظهر هذه العائمة التائهة في الأثير ، أفليس حسبي في الحياة أن أكون إنسانا ، لا ، إنني أريد أن أصبح رجلاً له صفته الخاصة وطابعه الخاص

ذلك ما تمنيته أمام الطبيعة ، فكان رجائي الأول وأنا ابن أربعة عشر ربيعاً ، ومنذ ذلك الزمن لم أقم بأي عمل إلا إطاعة لأمر أبي ، ولكنني ما تمكنت يوماً من التغلب على طبيعتي المتمردة .

لم تكن حريتي إذا بنت كسلي ، بل كانت بنت عزمي وإرادتي ، وكنت أحب جميع ما خلق الله ولا أحب ما صنع الناس إلا يسيراً ، وما كنت عرفت من الحياة سوى الحب ومن العالم غير معشوقتي ، فاكتفيت بما عرفت

خرجت من المدرسة ، فمشت واعتقدت بملء الاخلاص أن هذا الحب سيسود حياتي بأمرها ، وهذا الاعتقاد أزال كل ما سواه من تفكيري

وكنت أعيش منعزلاً فاقضي أيامي لدى عشيقتي وكان ألذ شيء عندي أن أذهب بها إلى الحقول أيام الصيف فأتوسد المروج الناضرة إلى جنبها ، إذ كنت أجد في مشاهد الطبيعة الرائعة أشد مجدد

للقوى ، وفى أيام الشتاء كنت أذهب بها من مرقص إلى آخر ، وهكذا كانت تمر أيام حياتى متتابعة دون أن أقوم بأى عمل

كانت جميع أفكارى متجهة إلى المشيقة التى خدعتنى ، لذلك رأيتنى عندما انهتك خداعها كأننى أحيا ولا فكر لى

لا أجد ما أصور به حالتى النفسية سوى تشبيهها بحالة مساكن هذه الأيام حيث تجد الرياش مؤلفاً من طراز جميع البلدان وجميع الأزمان ، فنحن فى عصر لا طراز له لأننا لم نضع طابع زماننا لا على مساكننا ولا على حدائقنا ولا على أى شىء لنا . فانك لتصادف فى الشوارع رجالاً أطلقوا لحاهم على طراز عصر هنرى الثالث كما ترى رجالاً حلقوا الذقون وآخرين أرخوا شعورهم على زى أيام رافائيل وسواهم أرخوها على طراز زمن المسيح

وهكذا يخيل إليك أن مساكن الأغنياء معارض فنون إذ تجد فيها الطراز القديم وطراز عصر النهضة وعصر لويس الثالث عشر ، فلدينا من كل عصر أشياء ولا شىء لدينا من عصرنا ، وما شوهدت مثل هذه الحال فى أى زمن من قبل فنحن نذهب مذهب المتخيرين فنأخذ من كل ما نجد ؛ هذا لجماله وهذا لموافقته للراحة وآخر لقدمه وآخر لما فيه من القبح .. وهكذا نعيش على أنقاض كأن العالم قد اقترب من الزوال

على مثل هذا كان تفكيرى ، كنت طالعت كثيراً وتعلمت الرسم وحفظت أشياء تراكمت فى دماغى بلا ترتيب فكان رأسى كالاسفنجة متضخما على فراغه

وعشقت جميع الشعراء واحدا بعد واحد ، غير أن إغراقى فى تأثرى كان يحول كل إعجابى إلى آخر شاعر عرفته ويدفعنى إلى كره سائر الشعراء .
وثابرت على هذا النهج حتى أنشأت من نفسى مستودعا للماديات ، وكنت اغترفت من كل حديث مجهول حتى بشمت فاذا أنا طال بال عليه شىء لم يزل فى مهيع الصبا ، هو أمل هذا القلب فى طفولته .
ذلك هو أملى الذى سلم من كل وصمة ومن كل فساد وسكب الحب فيه كل قوى الحياة ، فاذا الخيانة تصيبه بالجرح القاتل ومكر المشيقة يرميه بأحد سهم وهو يطير فى أرفع أجوائه

وكنت أشعر أن فى نفسى شيئاً يتشنج فى استرخائه كأنه طير جريح يحتضر . إن المجتمع الذى ينزل الدواهى بأفراده اشبيه بالأفعى الهنديه التى تستقر فى الأعشاب الشافية للسماتها ، فأنك كثيراً ما تجد قرب الأدواء التى تسببها أنجع علاج لها ، فالرجل الذى يتبع نظاما ينطبق على حالة المجتمع فى حياته فيعين وقتا لأعماله ووقتاً لزياراته وميعاداً لممارسة الحب .. لا يتعرض لأى خطر إذا هو فقد من يهوى لأنه أخذ فى أعماله وتفكيره نظاماً وترتيباً كصفوف الجنود المهيأة للكفاح ، فاذا سقط جندى منها انكمش الصف وقام آخر مكانه فلا يشعر أحد بفراغ ذلك المكان

أما أنا ، فما كان لى ما ألجأ إليه منذ أصبحت وحدى ، فكنت أقف أمام الطبيعة وهى أمى التى أحب فأراها تتسع حولى وتزداد فراغا ، ولو أمكننى أن أنسى عشيقتى كل النسيان لكنت نجوت

كثير من الناس يجدون الشفاء على أهون سبيل لأنهم يصمدون للخيانة متغلبين على الحب الجريح ولكن أبى لابن التاسعة عشرة أن يقتبس هذه

الطريقة فى حبه وهو يجهل كل شىء ويشتهى كل شىء وهو الشاعر بنمو جراثيم الشهوات كلها فى نفسه . هل لمثل هـذا الفتى أن تساوره الشكوك ، وهو كيفما التفت يميناً أو شمالاً أو علق نظره على الآفاق يسمع هاتفاً يدعوه إلى الشهوة والأحلام؟ وما من حقيقة يمكنها أن تتسلط على القلب فى فتوته . كل شىء ينبت الأزهار للشباب حتى العقد المتصلبة فى أغصان السنديانة الهرمة . ولو كان للفتى ألف ذراع لمد بها إلى الفضاء حتى إذا التفت على عشيقة أصبح هذا الفضاء فى نظره مليئاً عامراً

وما كنت أحسب أن فى العالم من عمل سوى الحب ، وعندما كان أحد الناس يخاطبنى عن غير الحب ؛ كنت أدير ظهرى والتزم السكوت

وكان ولهى بمحبوبتى ولهاً وحشياً ألقى على حياتى طابع الرهبنة والنسك

ولأوردن حادثة واحدة تثبت ما صورت من حالتى :

كانت محبوبتى أعطتنى ذخيرة ضمنهـا رسمها المصغر ، وكنت أحمل هذه الذخيرة على تخفق قلبى أسوة بكثير من الرجال ولـكننى وجدت يوماً عند أحـد الباعة سلسلة حديدية علقت فى طرفها دائرة على ظهرها نتوءات شائكة فابتعتها وربطت الذخيرة عليها وحملتها مديراً النتوءات لجهة صدرى فكانت تغرز فى جلدى فأشعر من ألمها بلذة غريبة ، وكثيراً ما كنت أضغط عليها بكفى مستزيداً لذتى وآلامى...

وما كنت لأجهـل ما فى عملى من جنون ، ولـكن هل من جنون لا يقدم الحب عليه ؟ وعندما عرفت بخيانة حبيبتى ، خلعت هـذه الذخيرة عنى ويعلم الله ما كان عذابى عندما تحررت من قساوتها

فكنت أزفر قائلاً : — إن أثرك سيمحى ، أيهـا الجرح الدامى الحبيب فأى بلسم سأسكب عليك

وما كان تزايد كرهى لهذه المرأة ليزيل تذكارها من كيانى فكأنه بقى يتمشى مع دمى فى عروق كنت ألعنها ثم أحـلم بها . ومن له أن يقاوم الأحلام وأن يحكم عقله فى تذكارات قوامها لحم ودم؟

عندما قتل مكبيث دوكانان هتف قائلاً : إن مياه المحيط لن تغسل يدى ؛ وأنا أيضاً كنت أرى أن مياه البحار كلها لن تغسل جراحى

وصـارحت ديجنه بحالتى فقلت له : دعنى وشأنى ، إننى عندما أستسلم للسكرى أرى رأسها ملقى على وسادتى

ما كنت أحيا إلا من أجل هذه المرأة ، فما كنت أرتاب بها حتى ولو ارتبت بنفسى . فاذا ما لعنتها فكأننى أجحد كل شىء ، وإذا ما فقدتها فكأننى أرى الوجود بأمره مندثراً خالياً

وقبعت فى منزلى منقطعاً عن الناس ، إذ كنت أحسب العالم يغص بالمسوخ والحيوانات المفترسة ؛ وكنت أقول لـكل من يحاول تسليتى : إن ما تقوله حق ، ولـكن كن واثقاً من أننى لن أتبع نصحك

وكنت أستند إلى النافذة وأقول لنفسى : سوف تأتى ، لا ريب فى أنها قادمة إلى ، لقد دارت منعطف الشارع . إنى أحس باقترابها منى . إنهـا لا تستطيع أن تحيا بدونى كما لا أستطيع أنا أن أحيا بدونها . ماذا عسانى قائلاً لها وبأى وجه استقبلها ؟

وبينما أكون مستغرقاً فى هـذه النجوى كان خداعها يفاجىء تذكارى فأهتف قائلاً : لا ، لا أريد أن تجىء ، لا أريد أن تقترب منى ، فانى أقتلها

وما كنت سمعت عنها شيئاً بعد أن أرسلت لها كتابى الأخير فكنت أتساءل : ما تفعل الآن ، أتراها مشغولة بعشق سواى ، فما على إذن إلا أن أعشق سواها

ولكننى كنت أسمع صوتاً يهتف بى من الأبعاد قائلاً : ألك أن تحب سواى أنت ؟ لعلك جننت : . أذلك ممكن لشخصين سادهما الحب فتعانقا واتحدا ؟ أنت لم تعد أنت بعد وأنا لم أعد أنا

وكان ديجنه يقول لى : متى تسلو هذه المرأة أيها الجبان ؟ أفترى فى فقدك أياها خسارة لا تعوض ؟ وهل كان عشقها لك اللذة الوحيدة فى الدنيا ؟ اتخذ لك عشيقة أخرى ولينته الأمر

فكنت أقول له : لا ، ليس فقدى لها بالخسارة العظمى ، أما فعلت ما وجب على فعله ؟ أما طردتها من هنا ؟ فهل لك ما تقوله بعد ؟ أما الباقى فلا شأن لأحد فيه سواى . أليس للثيران إذا جرحت فى الصراع أن تذهب بالنصل المغمد فى كتفها إلى زاوية لتموت ؟

قل لى بربك ، إلى أين أذهب ، ومن هن هؤلاء النسوة اللوانى تسوقهن الصدف إليك . أنت تشير إلى السماء الصافية والأشجار الباسقة والمساكن العالية ، وإلى رجال يعربدون ويسكرون ويغنون ، وإلى نساء راقصات وخيول تتراكض فى السباق ؟ وما كل ما تشير إليه هو الحياة ، بل هو صخب الحياة ، إذهب عنى ودعنى وشأنى

(يتبع) نيكس فارس


نحن نشترى منكم قطنكم ونعيده إليكم

فأنتم الرابحون فى الحالتين

شركة مصر للغـــزل والنســـج

تمدكم بكافة المنســوجات القطنية

قطن مصر . صنع مصر . فخر مصر

إنها احدى مؤسسات بنك مصر

# الأوذيسة

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

( تابع )

## فى بيلوس ...

### تلماك يسائل نسطور عن أبيه

ملخص ما تقدم

• انتهت حرب طروادة وعاد القادة الإغريق جميعاً إلى اليونان ما عدا أوديسيوس فإنه لم يعد ، وكانت حرب شعواء بينه وبين إله البحار بوسيدون الذى أضل طريقه فى البحر لخصومة قديمة بينهما . وكانت الربة ميترفا من أنصار أوديسيوس ، فذهبت إلى إيثاكا ، مدينة أوديسيوس ، لتحض ابنه تلماك على البحث عن أبيه وتحرضه على طرد عشاق أمه بنلوب من قصره . ذلك أن طول غياب أوديسيوس أطمع هؤلاء فى جمال الملكة فأرادها كل منهم زوجة له ، ولكنها احتالت عليهم حتى استطاعت أن تجمعهم فى قصرها لتضرب بعضهم ببعض ريثما يعود زوجها ويخلصها منهم . ولقيت ميترفا الفتى تلماك وأحضرت له سفينة مجهزة بكل ما يحتاج اليه رحلة طويلة محفوفة بالأخطار ثم أقلعت هى معه فى صورة أحد أمراء البحر ( منتور ) إلى بلوس ليسائل أميرها نسطور عن أبيه الذى كان يزامله فى حرب طروادة

هوميروس

برزت ذكاء من لجة الشرق فصبغت آرادها (١) الذهبية جبين الأفق النحاسى ، وسلبت الأضواء الجميلة لتهدى إلى السبيل السوى ، وألقت السفينة مراسيها تلقاء بيلوس ، مدينة نابوس (٢) ؛ حيث وجدوا القوم على الشاطىء يقربون القرابين باسم بوسيدون ، ذى الشعر اللازوردى ، وقد جلسوا فى صفوف تسعة ، وفى كل صف خمسمائة شيخ عتيد . وذبحت كل فئة قرابينها : تسعة عجول سمان ذوات خوار ، فأكلوا الحوايا (٣) ، وضحوا بالسواعد والأفخاذ ؛ ثم أقبل تلماك وبين يديه ميترفا تتهادى وتقول :

« تليماخوس ! تشجع يا بنى ، ولا تجعل للاستحياء سبيلا إلى نفسك ، وتقدم إلى أمير هذه البلدة الصنديد ، نسطور ، فقد تكون لديه أخبار

(١) أشعة الشمس

(٢) نابوس هو ابن بوسيدون ( نبتون ) إله البحار والد أعداء أوديسيوس

(٣) الأمعاء وما إليها

عن أبيك ، وقد يجلو لك الشكوك التي تخامرك ، وثق أنه لن يخفى عليك من أمره خافية ، فقد تقدمت به السن ، وهو اليوم أحكم الناس . »

ويقول تلماك :

« أواه يا منتور ! ما أحسبني أقوى على لقاء الرجل ، وأنا من تعرف من قلة الشأن ورقة الحال أنا الفتى الحدث . أنى لي بلقاء الشيخ ذي التجاريب ؟ »

وتجيبه ذات العينين الزرجديتين :

« لا عليك يا بني : إن هي إلا كلمات تقولها وعلى الله قصد السبيل ! ! العالم كله يعرف أنك نشأت في ظروف قاهرة ما كان لك بها يدان ! »

ودلفت مينرفا ، ودلف في إثرها تلماك ، حتى كانا في وسط القوم ، وحيث جلس نسطور العظيم بين أبنائه ، وحيث اشتغل أهله بالشواء ، وهب الجميع للقائهما . وتقدم ابن نسطور الأكبر ، بزستراتوس ، فصافحهما هاشاً ، ولقاهما باشاً ، وأجلسهما فوق الفراء المبثوث إلى جنب أبيه ، وأخيه الأصغر تراسميديس ، وقدم لكل مضغة من حوية ، ثم كأساً ذهبية من خمر معتقة ، تذوقها قبل أن يحي بها ، ثم قال مخاطباً مينرفا :

« مرحباً بك أيها الضيف المكرم ! لقد شرفت في عيد نبتيون ، فحبذا لو أفرغت باسمه ما في هذه الكأس من خمر صلاة له وزكاة ! وحبذا لو أشركت في التقدمة زميلك ، فما أحسبه إلا محباً للآلهة ، خابتاً لها »

وتبسمت مينرفا ، وتناولت الكأس في وقار وأرسلت هذه الصلاة باسم رب البحار :

« نبتيون العظيم تقدس اسمك ، وأحاط باليابسة ملكوتك .. يا منقذ الضالين ومغيث المتضرعين ، أدرك بلطفك التائبين إليك ، ونجهم من دأمائك ببركة أسمائك ، مولاي وتقبل من نسطور ومن ذريته ، وتقبل من جميع أهل بيلوس أضحياتهم ، ثم تفضل يا مولاي فسدد خطى تلماخوس وخطاي إلى ما أقلعنا فوق هذا المركب الشاحب من أجله .. آمين آمين !!! »

وتناول تلماخوس الكأس بدوره ، ثم أفرغ ما فيها ، وغنم بصلاة قصيرة ؛ وما كاد يفرغ حتى تفرق المدعوون من أهل بيلوس طاعمين شاكرين ، إلا مينرفا وصاحبها ، وإلا نسطور وولديه ..... ثم قال نسطور :

« أما وقد فرغنا من غدائنا فماذا أيها الوافدون من أنتم ، ومن أين جاءكم هذا البحر ؟ أتجار أنتم ؟ أم قرصان تملأون الشطآن ذعراً وفزعاً ؟ »

واستجمع تلماك شجاعته ، ونفخت فيه مينرفا من روحها ، وتكلم فقال :

« على عينك يا ابن نليوس العظيم ، يا فخر هيلاس ؛ إني أنا ابن صديقك وصفيك أوديسيوس سعيت إليك من أقصى الأرض أسائلك عن أبي ! أبي : صفيك وخليلك الذي صال معك تحت أسوار اليوم وجال ، ثم لا أحد يعرف من أنبائه اليوم شيئاً : لقد انتهت إلينا أخبار الأبطال اليونانيين جميعاً وعرفنا مصارعهم ، إلا إياه .... أين رقد ؟ وأنى ثوى ؟ وأيان قرت رفاته إن كان قد شالت نعامته ، أو مضى على وجهه في الأرض إن كان ما زال حياً .. إن الآلهة نفسها لا تشاء أن تدلنا من أخباره على أثر . واشد ما أخشى أن يكون قد ثوى هناك ... هناك ... في أعمق مملكة نبتيون ، مع الجميلة أمفتريت[1] . لذلك سعيت إليك يا فخر

(١) ملكة البحار وزوجة نبتيون

هيلاس كيما تحدثنى عن أبى ، وكيما تذكر لى بعض ما تعرف عما ألم به إن كنت قد شهدته ، أو تقص على ما عسى أن تكون قد سمعته من بعض حاشيتك التى تجوب هذه البحار . قل . تحدث يا نسطور ، ولا تخف عنى شيئاً ... قل .. إنى أستحلفك بكل ما كان يفتديكم به فى ساحة اليوم أن تقص على أنباءه . لقد كان يحبك ويجلك ويوقرك ، فاجز ابنه بعض ذلك »

وكأنما رأى نسطور حلماً لذيذاً فقال :

« ويحك أيها الصديق الشاب ! ما أروع ما هجت ذكريات الماضى المفعم بالأشجان ! ذكريات الذادة السادة والمغاوير الصناديد ، الذين سقطوا تحت أسوار إليوم العتيدة فأرووا ثرى الميدان بدمائهم ، وسطروا آية المجد بمهجهم ! إيه أخيلوس يا سليل الآلهة ؛ ويترو كلوس يامعجز الأنداد والأقران ؛ وأجاكس ! ! أجاكس الذى كان أمة وحده : لقد رقدوا جميعاً تحت قلاع بريام الجبار الشيخ ! ورقد معهم ولدى ! آه ياولدى ! أواه ياقطعة قلبى وفلذة كبدى وثمرة حياتى وسؤددى : يا أشجع الشجعان يا أنتيلوخوس : أية قصة وأية مأساة ؟ ! يا رعاك الله أيها الشاب المحزون : أنى لى أن أقص عليك أحداث سنين تسع كانت هموماً متصلة وأحزاناً فاجعة وآلاماً تتسعر فى جميع القلوب ! ؟ أى لسان ذرب يقص فلا يعل ، وأى مقول رطب يحكى وما يعيى ؟ ألا لو أنك أقمت تسع الأعوام الطوال فما أحسب القصة تنتهى ! القصة التى لم تجد فيها شجاعة الألوف لولا خدعة أوديسيوس وحيلته ، وطول أناته وهمته ! ولكن حدثنى بربك أيها الشاب : أأنت حقاً لولد أوديسيوس ؟ أجل ! إنك بملامحك وقسماتك غصن دوحته ، وإنك بكلماتك العذاب عسلوج أرومته ! أوه ، أوديسيوس ! يا رفيق الشباب وحبيب القلب ! لشد ما تمتلج فى النفس تلك الخاتمة الهائلة التى قضاها على الأرجيف[(١)] سيد الأولب ، غب انتصارهم ، وقبيل أوبتهم ! لقد حنقت مينرفا على ولدى أتريوس إذ تنازعا فقال قائل منهما نضحى لربة العدالة عند سيف البحر تلقاء اليوم ، ولكن الآخر أبى وأبحر على أن يقدم لها القرابين فى آرجوس : يا للتعيستين ! أجا ممنون البائس ومنالايوس المسكين ! إنهما لم يصليا لينزفا خاق بهما غضبها ، وعبثا حاولا بعد ذلك أن يترضياها : إختلف الاخوان ونام الجند حتى مطلع الفجر ، ثم أقلع نصف الاسطول فى موج ثائر مصطخب من غضب الآلهة ، بقيادة أجاممنون ، وما هى إلا سويعات حتى هدأ اليم ونام الموج ؛ وبلغنا تندوس فذبحنا الأضحيات باسم الآلهة ، وسبحنا لرب البحار نبتيون فتطامن العباب ؛ ولكنا ما كنا ندرى ما تنسجه يد (جوف)[(٢)] حولنا بل لم يكن يخامرنا أقل شك فى وصولنا إلى الوطن سالمين . ذلك أن أوجه النظر اختلفت ثمة ، ونشب بين القادة نزاع فى الرأى : هل يقلعون من تندوس ، أو يتلبثون بها حتى تنجلى العاصفة التى شرعت تهب فى عنفوان وشدة ؟ وهنا ، آثر ملاحو أبيك أن يعودوا أدراجهم بسفائنهم إلى طروادة ، وذلك مجاملة للقائد العام . بيد أنى لم أر هذا الرأى ، بل فررت من العاصفة بسفائنى إلى جزيرة لسبوس ،

(١) جنود آرجوس إحدى مقاطعات اليونان

(٢) زيوس أو جوبيتر كما يسميه الرومان وهو كبير الآلهة

ولحق بنا ديوميد ثم منالايوس فى إثره ؛ وأرسينا ثمة ؛ وانتظرنا إذناً من السماء ، أو قل بارقةً من الآلهة ، نقلع بعدها . وكانت العاصفة تشتد وترقص فوقنا ومن تحت أساطيلنا ، فلم نر بُدًّا من المجازفة ، وإلا تكسرت جوارينا على الصـــخور وفوق الأواذى ، ... يا للهول ! لقد بلغت قلوبنا الحناجر قبل أن نصل إلى جيرستوس ! حمداً لك يا نبتون وثناء عليك ؛ وقل أن نذبح باسمك ألف قربان من كل عجل جسد وكبش حنيذ ! ولقد فاز ديوميد فوصل بجنوده سالماً إلى آرجوس ، وكذلك فاز الجبابرة الميرميدون ، جنود أخيـل ، بقيادة شبله العظيم نيوبتوليموس ، فوصلوا إلى أوطانهم غانمين ، ووصل من بعدهم فيلوكتيتيس ... ... كذلك وصل أجاممنون وليته لم يصل ! لا ريب أنك سمعت عما حاق به ! لقد قتله المجرم إيجستوس [1] ، ولـكنه دفع روحه ثمناً لفعلته ؛ إن العيش لم يطب لابن أجاممنون حتى ثأر لأبيه ، فانقض كالصاعقة على قاتله وغاله بيده ! يا للفخار أيهـا الصديق الشاب حين تنتقم لأبيك فتسجل اسمك فى سجل الخالدين ! ... »

وشاع العُجْب فى نفس تلماك ، فقال :

« ويك نسطور ! إنه سيكون انتقاماً عادلاً بحق السماء ، وستتغنى الأجيال القادمة بقصته ، وسيرويه الخلف عن السلف . كم ذا وددت لو مكّنت لى الآلهة فى أعناق هذه العصبة الفاجرة من العشاق الأغبين الذين يدلون عَلَىّ بعددهم وعُددهم ، والذين يقذفون فى وجهى بالاهانة تلى الأهانة . . . وا أسفاه ! ليت شعرى لم لا تؤيد الآلهة حتى على باطلهم ؟ لقد نفد اصطبارى وكلت حيلتى ... فماذا أعمل ؟ »

وقال نسطور : « أيها الصديق ، لقد أذكرت منى غافلاً ... ويحك تلماخوس ! لقد تناقل الناس ما كان من حماقة هذه الطغمة التى تستبيح عرض أوديسيوس ، وتستنزف ثروته ... ولـكن ، من يدرى ؟ هل أمنوا أن يعود يوماً فيستأصل شأفتهم ، ويديل منهم ، وتكون له الكرة عليهم ؟ لقد كان أبوك العظيم حبيب مينرڤا وصفيها ، وهى لابد آخذة بناصرك كما أخذت بناصره من قبل ، وهى لا بد مدركتك وشيكا ، وحائلة بين أعدائك وأعداء أبيك ، وبين هذه الزمرة المجرمة . »

ويجيب تلماك :

« ألا من يدرى ؟ إنه لا أمل لى فى ذلك قط ! آه أيتها الأحاسيس الغريبـة التى تجيش فى قلبى ! الآلهة فقط هى القادرة على تحقيقك بمعجزة ! »

وهنا ، حدجته مينرڤا بنظرة هائلة من عينيها الزبرجديتين ، وقالت له :

« تلماخوس : أية كلمة هائلة زل بها لسانك ؟! ما أيسر على الآلهة أن تقول للمستحيل كن فيكون ! أنا نفسى كم تجشمت أهوالاً فى أسفارى ثم عدت بعناية أربابى سالماً إلى أرض الوطن ! بل كم من أناس ظنوا أنهم نجوا من الموت فى يم غشيهم موج كالظلل ، فلما وصلوا إلى البر حاقت بهم مناياهم كما حاقت به منيته أجاممنون ، حين خر صريعاً بيـد إيجستوس الأثيم ؛ والملكة [1] الغادرة الفـاجرة الزنيم ! حقاً ، إن الآلهة لا تملك أن تحول بين المرء وبين المنون ما دام قد جاء أجله ، مهما يكن حبيبها وأعز عبادها عليها . »

(1) شرحنا ذلك فى دراسات إسخيلوس فى الرسالة

(1) كليتمنسترا

وعبس تلماك عبوسة خفيفة ، وقال :

« مهما يكن الأمر فانذع هذا الآن يا منتور ! إنى لا أمل لى مطلقاً فى عودة أبى ، ولكنها أقضية من السماء ومقادير أن أذرع وراءه البحار ، وأن أعود فأسائل فخر اليونان نسطور ، اللبيب الأريب الذى حكم كما هو مأثور أجيالاً ثلاثه ، والذى يتألق فى عينيه سناء الآلهة ... أعود فأسائله كيف قتل أجاممنون ؟ وكيف تهيأ لايجستوس أن يقتله ، وهو من هو أعلا منه نسباً وأعز حسباً وأشرف قدراً ، وأين كان منالايوس الملك شقيق أجاممنون ؟ ألم يكن قد عاد بعد إلى أرض الوطن ؟ أم كان ما زال يطوى الآفاق فشجع ذلك إيجستوس ونفخ فى قلبه ؟ »

وقال نسطور : « رويدك أيها الصديق الشاب فانى قاصٌ عليك نبأ مالم يأتك به علم ... تالله لو لم يقتل إيجستوس قبل عودة منالايوس ، ما أقيم على رفاته جدث ، وما بكت عليه عين ، ولألقى بدنه النجس لكلاب البرية وطير الفلاة تنوشه وتمزقه وتغتذى به ، جزاء فعلته الشنعاء ، وجرمه الذميم وخطيئته التى لا تغتفر . إصغ إلى ... لقد أناب منالايوس عنه حارساً أميناً يسهر على أمور المملكة ويكون فى خدمة الملكة ... ذاك هو أريدس الحكيم ، الذى تغفله إيجستوس ، واتصل بمولاته سراً وهو لا يدرى ، واستطاع أن يدبر معها هذه المؤامرة الشنيعة التى انتهت بنفى الحارس الأمين ثم قتله فى برية موحشة غابته فيها السباع الضارية والأوابد[1] الكاسرة ، حتى إذا خلا لهما الجو أسلست له الملكة القياد فحكم وساد وطغى واستبد وسُلط على العباد أعواماً سبعاً طوالاً ... كل هذا والسماء ساهرة لا تغفل ، فقد عاد أورست ابن الملك الغائب ، وابن الملكة الفاجرة ، فأنقذ عرض أبيه وقتل الوحش اللئيم الذى دنّس شرف المملكة ، ولطخ بالوحل هذا المجد الأثيل ، ثم قتل أمه ... أجل ، قتل أمه وجمع حوله الأراجيف البؤساء يحتفلون بهذا النصر ويصلون للآلهة التى أنقذتهم من ذاك الشر ... وبينا هم فى أفراحهم وانشراحهم إذا بالملك العظيم يصل بأساطيله بعد رحلة طويلة محفوفة بالمخاطر .. فلقد أبحرنا ( أنا ومنالايوس ) من طروادة معاً ، وما كدنا نبلغ صنيوم[1] ، أول مرافئ أثينا ، حتى وقع مالم يكن لنا بحسبان ... ذلك أن رب الشمس أبوللو غال بسهامه التى لا تطيش ربان الأسطول العظيم ، فرونتيس ، فاضطر الملك أن يلقى مراسيه حتى يصلى على صديقه ويقيم الشعائر على جثمانه ؛ ثم أقلع ، وما كاد ، حتى اضطرب البحر ، وفغرت اللجج أفواهها ، وتدافع الموج حول الأسطول كالجبال ، وعم الجو ، وغامت السماء ، وانقضت الصواعق فانشعب الأسطول وتفرقت سفائنه ، وانشطرت وحداته ، فبعضها شرّق وبعضها غرّب وبعضها يمم شطر سيدون عند كريت ، وبعضها اتجه رغمه نحو شطئان مصر ، وبعضها غاص إلى الأعماق ، وخمس فقط ... وصلت بعد طول الجهد الى هنا ... »

« بنى ... أيها الصديق الشاب ... أخلق بك أن تذهب من فورك الى منالايوس فتسائله عن أبيك ، فلقد لاقى الأهوال فى البحر ، ولا ريب أنه سمع بكثير مما جرى فيه من مختلف الأمم فى رحلته

(١) الوحوش

(١) sunium

المشئومة ... هلم ... إنطلق إليه ... وإن لم تسعفك سفينتك فأنى ممدك بكل ما تحتاج من مركب البر أو البحر ، وها هم رجالى معك أينما توجهت ، بل ها هم أبنائى ، ليصحبك أحدهم ، أو كلهم ، إلى منالايوس ، فإن عنده الخبر اليقين »

وكانت الشمس قد توارت بالحجاب ، والليل قد نشّر ظلامه فوق الطبيعة المنهوكة الخامدة فنهضت ابنة زيوس العظيم ، مينرفا الخالدة ، وهى ما تزال فى صورة منتور أمير البحر وطيلسانه ، فقالت : « مرحى يا فخر هيلاس : لقد قلت حقاً وتكلمت صدقاً ؛ هلم ، البدار البدار ، قطعوا ألسن القرابين(1) وأريقوا الخمر باسم الآلهة ، وباسم أبنيون قبل كل شيء ... »

وانتشر الولدان بين المدعوين يصبون الماء على أيديهم بعد إذ أدوا التحية الخمرية المقدسة لأربابهم ، ثم تفرقوا شيئاً ، ونهض تليماك وصاحبه لينصرفا ، لولا أن صاح بهما نسطور :

« حاشا يا رفاق ! أنتما ضيفىّ ، فكيف تبيتان فى سفينتكما تحت طل الليل وهذا بيتى فيه كِنٌّ لكما وفراش وثير ، وفيه والحمد للآلهة ، خير كثير ، وهؤلاء أبنائى سمّار لكما وهم ثمة طوع لكما »

وشكرت مينرفا الملك عطفه ثم قالت :

« بوركت أيها الملك ، ليبق تليماك هنا ، ولأمض أنا إلى البحر لأسهر على صوالح مركبى ، ولأطمئن بحارتى ، فكلهم أتراب تليماك ، وكلهم متطوعون لخدمته وفاء وحباً ، وليس يجمل إلا أن أبيت أنا معهم تلك الليلة ، على أن نقلع صبيحة الغد إلى كوكون ، ولتأذن فتمنحه عربة وزوجاً من صافنات جيادك ليلحق بنا ثمة ، يصحبه أحد أبنائك ، ما دمت قد عرفت فيه ابناً لأعز أحبائك وأوفى أصدقائك »

ثم حدثت المعجزة ... فإنه ما كادت مينرفا تتم كلامها ، حتى انتفضت انتفاضة هائلة ، وتحولت من صورة منتور أمير البحر إلى نسر عظيم مهوب اللفتات ، ما عتم أن ضرب الهواء بخافقيه ، حتى حلق فى السماء ، وغاب فى لا نهايتها ، بين دهش القوم ، وشديد حيرتهم

وتناول نسطور العظيم يد تليماك ، وظل يقلب فيه بصره ، ثم قال :

« أيها الصديق ! لشد ما عظمت منزلتك ، وسما مكانك ، حتى لتكون فى رعاية الآلهة وعناية السماء : هذه دون أى ريب ابنة سيد الأولمب — الكريمة مينرفا — التى ما وقرت أحداً من أبناء هيلاس كما وقرت أباك

« ولكن أنت ! أنت يا مليكة العدالة ! ضرعت إليك أن تتلطفى بنا جميعاً ! أمنحينى بركاتك ... أنا وأبنائى وشعبى ... اكتبى أسماءهم فى الخالدين ، وسنصلى لك وندبح باسمك بقرة ؛ لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث ؛ مُسَلَّمة لا شية فيها ؛ منضورة بالورد ، محلاة القرنين بالذهب »

وقبلت مينرفا صلاته ، ولبت دعاءه ، ونهض وفى إثره أبناؤه وأحفاده ، وفتحت أبواب القصر وتقدمت ندمانة الشراب فقدمت إليه كأساً من خمر لها نسب من عهد آدم فأفرغها فى الأرض تحية لمينرفا ، واقتدى به ملؤه فأفرغوا كؤوسهم ، ثم مضوا إلى غرفاتهم ، ومضى الملك مع تليماك إلى

(1) كان من التقاليد الشائعة أيام هومير أن تقطع ألسن القرابين وتحرق باسم الآلهة لينصرف الجمع

مخدع وثير ، وفراش من حرير ، وأمر ابنه بزستراتوس فقام معه ، ثم ذهب حيث وجد الملكة في انتظاره

ونشرت أورورا (١) غلالتها الذهبية في مشرق الأفق ، فاستوى نسطور على عرشه المرمري المتألق عند بوابة القصر ، حيث كان أبوه نليوس يجلس كالآله للنظر في صوالح العباد ، وأقبل بنوه الستة ومعهم تليماك الذي جلس إلى جنب أبيهم وتحدث إليهم نسطور فقال :

« هلموا يا بنيّ ، لنذبح القربان المقدس باسم ميترفا الكريمة التي باركت حفلتنا أمس ؛ لينطلق أحدكم إلى الحقل فليحضر ثوراً (٢) سميناً ، وليذهب آخر فيدعو رجال تليماخوس — إلا اثنين — من السفينة ؛ وليمض ثالث فليأت بالصناع الفنان ( ايرسيوس ) ليجلل قرني القربان بالذهب وليبق الآخرون هنا ، ثم لتحضر كل حاشيتنا من النساء ليكسبن الوليمة بهجة ورواء »

وأطاع أبناؤه الأوفياء ، وأحضر القربان ، وأقبل الملاحون الأمناء ، ثم قدم الفنان ليغطي قرني البهيمة بالذهب ... ثم ... وافت ميترفا ... ميترفا نفسها لتشهد الطقوس التي تقام باسمها ... ، وبدأ الفنان عمله ، فأخذ يرقق صفائح الذهب ويثبتها بمهارة في القرنين الصغيرين . وتقدم أريتوس بن نسطور وفي إحدى يديه باقة كبيرة من الزهر وفي الأخرى سلة من أفخر أنواع الكعك ، وتقدم ابنه الثاني تراسيميد وفي يده شاطور كبير ليذبح الثور ووقف قبالته برسيوس يتلقى الدم في وعاء كبير . ونهض نسطور الأب فسبح وصلى أمام نار كبيرة مضطرمة ، وتمتم باسم ميترفا ، وقذف في اللظى بكعكتين كبيرتين ، وبناصية القربان ، وبقدر قليل من الماء المقدس . وإذ انتهى الجميع من صلاتهم شمر تراسيميد عن ساعده وجزر القربان ، وانكب الجميع يجهزونه ، وكانت بوريديس الجميلة الفتان تعنى أشد عناية بالفخذين ، فسترتهما بثوب غال من الديباج ، وكان نسطور نفسه ينثر الخمر المقدسة والعطور والأرواح ... وهكذا أخذ الجميع في شغلهم ، وشرعوا يلقون في الجمر بالحوايا ، وشرعت بوليكاست تنثر البهار والتوابل ... وتهادى تليماخوس بعد هذا فاستوى إلى جنب الملك ، وانتصب الولدان والندامى يصبون الخمر ، وبدأ الكل يأكلون هنيئاً ويشربون مريئاً

وما كادوا يفرغون حتى أمر نسطور فهيئت الصافنات الجياد لرحيل تليماخوس وأحضر القواص عربة كبيرة مثقلة بكل ما تحتاج الرحلة من زاد وعتاد

وأخذ تليماك مكانه من العربة الأولى ، واستوى إلى جانبه بزستراتوس أشجع أبناء نسطور ، ثم سلم تليماك وودع ، وشكر وأثنى ، وجذب عنان الخيل فانطلقت تنهب الرحب ، وتبتعد عن بيلوس وتطوى الزمان

وبلغوا ، مع مغرب الشمس ، فيريه ، حيث تلقاهم رب البيت بالبشر والترحاب ، وباتوا عنده ، حتى أيقظتهم أوروا المشرقة . فواصلوا رحلتهم إلى أسبرطة

(١) ربة الفجر وحادية عربة أبولو حين يركب الشمس عند الشروق

(٢) كان على نسطور أن يذبح بقرة مسلمة

( يتبع ) دريني خشبة

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر